الفصل الثانى

دراسة حياة ابن أبى الدُّنيا

وهى فى أربعة مباحث :

المبحث الأول : نشأته وبيئته .

المبحث الثانى : شيوخه .

المبحث الثالث : مكانته العلمية .

المبحث الرابع : آثاره العلمية .

المبحث الأول

نشأته وبيئته

١ ـ اسمه ونسبه:

عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، أبو بكر القرشى ، الأموى ، مولاهم [١] ، البغدادى الحنبلى[٢] ، المشهور بابن أبى الدنيا [٣].

وُلد ببغداد سنة ٢٠٨ هـ ـ ٨٢٣ م ، فى عهد الخليفة المأمون (ت٢١٨ هـ) آخر العصر العباسى الأول ، فى عهد الحضارة الإسلامية الذهبى .

٢ ـ تأثره بالظاهرة العلمية :

كانت الثقافةُ والعلومُ يطفحُ بها المجتمعُ الإسلامى فى كل ميدان من ميادين العلمِ والأدب . ولم يقتصر النشاطُ العلمى على العلوم النقلية فحسب ، بل تجاوزها إلى العلوم العقلية ، وذلك بفضل فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، وترجمةِ الكتب من اللغات الأجنبية ؛ وبخاصة اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية .

ولقد كان طلب العلم والسعى فى جمعه وتحصيله سِمةُ ذلك العصر . ومن مظاهر هذه الظاهرة الفذة : تتبع العلماء للسماع منهم والتحمل عنهم ،والرحلات العلمية الواسعة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وبهذا اتسعت مدارك وآفاق رجال هذا العصر ،

---

(١) قال ابن باطيش فى « التمييز والفصل » ١ / ٣٢٢ : « قيل له : القرشى ؛ لأنه مولى بنى أمية » . وذكر أنَّ « القرشى » نسبة إلى « الجد » .

(٢) فى هدية العارفين للبغدادى : ٥ / ٤٤١ ، « الشافعى » وهو خطأ .

(٣) مصادر ترجمته : ابن أبى حاتم ـ الجرح والتعديل : ٥ / ١٦٣ ، ابن النديم ـ الفهرست : ١ / ١٨٥ ، الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٠ / ٨٩ ـ ٩١ ، ابن أبى يعلى ـ طبقات الحنابلة : ١ / ١٩٢ ـ ١٩٥ ، المسعودى ـ مروج الذهب : ١ / ١٢ ـ ١٣ ، ٥ / ٥٠ ، ١٧٤ ، ابن الأثير ـ الكامل : ٧ / ١٥٥ ، السمعانى ـ الأنساب : ١٠ / ٩٦ ـ ٩٧ ، ابن الجوزى ـ المنتظم : ٥ / ١٤٨ ـ ١٤٩ ، ابن باطيش ـ التمييز والفصل ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، المزى ـ تهذيب الكمال : ٧ / ٣٩٥ ب ، الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٣٩٧ ـ ٤٠٤ ، وتذهيب الكمال ٢ / ١٨٤ ب ، وتذكرة الحفاظ : ٢ / ٦٧٧ ـ ٦٧٩ ، والعبر: ٢/ ٥٦ ، ومختصر دول الإسلام : ١ / ١٣٣ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية : ١١ / ٧١ ، ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة: ٣ / ٨٦ ، ابن شاكر الكتبى ـ فوات الوفيات : ١ / ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب : ٦ / ١٢ ـ ١٣ ، العليمى ـ المنهج الأحمد : ١ / ٧٣ ـ ٧٤ وغيرهم .

ونضجت ملكاتهم فى البحث والتصنيف ، وابتكروا مناهج راقية تُعدُّ من أرقى المناهج التى عرفها الفكر الإنسانى .

وكان تشجيع الخلفاء والأمراء لرجال العلم والأدب عاملاً كبيراً فى دفع عجلة العلم، وجذب الناس إليه ، فقد كان الخليفة المأمون يشارك فى كثير من العلوم ويمنح العطايا الجزيلة لمن يترجم كتب السابقين فى شتى المعارف الإنسانية ، من لغتها الأعجمية إلى اللغة العربية (١).

وكان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية فى العصر العباسى ، ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثرٌ كبير فى حصول هذه النهضة العلمية التى لم يشهدها الشرق من قبل ، حيث كان جُلَّ أفراد الأمة طلاباً للعلم ، أو على الأقل أنصاراً للعلم ، مُحبين لأهله .

قال الأستاذ نيكلسون : « وفى عهد الدولة العباسية كان الناس يجُوبون ثلاث قارات سعياً إلى موارد العلم والعرفان ، ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين ، ثم يصنفون ـ بفضل ما بذلوه من جهد متصل ـ هذه المصنفات ، التى هى أشبه بدوائر للمعارف ، والتى كان لها أكبر الفضل فى إيصال هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل » (٢).

ونشأ ابن أبى الدنيا ببغداد ، حاضرة العالم الإسلامى ومركز النشاط السياسى والحضارى ،وقد أشار إلى أهميتها الإمام الشافعى بعبارته الموجزة ـ وهو يسأل تلميذه يونس بن عبد الأعلى ـ : يا يونس ،دخلتَ بغدادَ ؟ قال : قلت : لا . قال: «ما رأيتَ الدنيا » (٣).

لقد كانت بغداد تموج بالعلم ، وتزخر بالنُخْبَةِ من علماء الأمة فى كل فن حتى أصبحت أمَّ مدائن الشرق فى ذلك العصر (٤)فساهمت عظمةُ الحضارة ، وكثرةُ العمران بالإضافة إلى عامل الدين ـ وهو أهمُّها ـ فى وفرة العلوم وكثرتها . والعلومُ إنما تكثُرُ وتتوسعُ إذا كثر العمرانُ ، واتسعت الحضارةُ ؛ كما أشار إلى ذلك ابنُ خلدون فى قوله: « إنَّ تعليم العِلْمِ من جُملة الصنائع وإنَّ الصنائع إنما تكثر فى الأمصار ، وعلى

(١) انظر : الدكتور حسن إبراهيم ـ تاريخ الإسلام السياسى : ٣ / ٣٣٢ .
(٢) نيكلسون : lit Hist Of The Arabs P . 281.
(٣) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد : ١ / ٣ ـ ٤ .
(٤) انظر : ا لدكتور حسن إبراهيم ـ تاريخ الإسلام : ٢ / ٣٧٧ .

نسبة عمرانها فى الكثرة والقلة ، وهكذا كانت بغدادُ وقرطبةُ والقيروانُ والبصرةُ والكوفةُ، لما كثُر عمرانُها صدْر الإسلام ، واستوتْ فيها الحضارةُ ، زخرتْ فيها بحارُ العلم ، وتفنَنَ أهلُها فى نشرِ التعليمِ ، وتصنيف العُلوم ، واستنباط المسائل والفنون ، حتى أربوا على المُتقدمين وفاقُوا المتأخرين » (١).

٣ ـ تأثره بالظاهرة الزهدية :

كان العالمُ الإسلامىُّ ـ فى ذلك العصر ـ يعيشُ حالةً من الاستقرارِ والبناءِ والرُّقى(٢)، بعد الحياةِ الجهاديةِ المليئة التى أمضاها سلفُه فى إرساء قواعد الدين ، والتمكين له فى الجزيرة العربية ، وبعد الانتصارات الساحقة استتب الأمر للمسلمين ، ودانت لهم بلادُ العرب بأسرها ، واندفع المسلمون ـ بعد النصر والاستقرار ـ إلى البناء الحضارى والعلمى ، بالإضافة إلى الحملات المتواصلة لتطهير بقية الأرض من رجس الشرك ، فى مشارق الأرض ومغاربها .

وترتب على هذا التَمكُّنِ والاستقرار ، رخاءٌ وافرٌ ، فتفتَّحت للمسلمين الدنيا بما فيها من نعيم ومتاع .

ومن سنن الله فى خلقه أنَّ الأمم والحضارات إذا خَفَّتْ أعباؤُها الجهادية ، وأشغلها الرخاء والنعيم ، دبَّ إليها الضعف والوهن ، وكثرت فيها الفتنُ والانقساماتُ . فَهَبَّ الغيورون من الأئمَّةِ وفضلاءِ العصر إلى تدارك هذا الخطر ، والتصدى له قبل استفحاله . فكانت تلك الحركة الواسعة الفريدة لجمع السنة والعلم مِنْ حَمَلَته وأهله . وبارك الله فيها فذاعت ، وانخرط فى سلكها أفواج عظيمة من المسلمين ؛ من كبير وصغير ؛ وسائس ومسوس ؛ حتى بدا أنَّ أغلب الناس أصبحوا طلاباً للعلم .

والانتصارات التى حققها الإسلام فى ميدان الأخلاق والمثل ، وميدان الثبات والقوة، دفعت بالكثير من الشعوب إلى اعتناقه وتَمَثُّله فَهَبَّتْ الأُمَّةُ إلى استيعاب هذه الحشود العظيمة الضخمة المتلهفة ، فكانت المجتمعاتُ الإسلاميةُ فى مكة والمدينة وبغداد والبصرة والكوفة والشام والقيروان مدارس واسعة لهؤلاء الوافدين .

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة : ٣٦٢ ـ ٣٦٣ (بتصرف) .

(٢) لكن هذا الاستقرار كان نسبياً ، فقد كان يشوبه جو الفتن والمنازعات ودسائس الأعداء المتربصين من اليهود والنصارى والزنادقة ، انظر على سبيل المثال : « ثورة الزنج » فى ترجمة الهالك طاغية الزنج الخارجى على ابن محمد العبدى . (الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ١٢٩ ـ ١٣٦ ، ابن الأثير ـ الكامل : ٧ / ٢٠٥ ـ ٢١٥) .

وأرادت هذه الصفوة أن تُبقى روح الجهاد متوقدة فى نفوس المسلمين وأن لا تركن إلى الدعة ، والخُمول ، وأن لا تأنس بالرخاء وَطِيبِ العيش ، فتنسى غايتها ومهمتها ، وسببَ وجودها ، فتحرك هؤلاء الكرام يُذكِّرون بهذه المعانى .

وكان من ثمار هذه الظاهرة التربوية الزهدية الموجهة ذلك الإقبال على الله ، والتسابق إلى مرضاته فعاشوا النصوص التى يجمعونها ويحفظونها تجافياً عن دار الغرور، وإقبالاً على الله بكل الهِمَّة . وكانوا خير قُدْوةٍ لأبناء الأمة وناشئتها .

وأخذ هؤلاء الأئمة يواصلون السير فى هذا الاتجاه ، فكان « كتاب الزهد » لعبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) و« كتاب الزهد » لهناد بن السرى (ت ٢٤٣ هـ)، و « كتاب الزهد » لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) وغيرها فى بابها كثير ، لا سيما الكتب التى تضمنتها الجوامع والسنن والمصنفات ، كالكتب الستة ومُصَنَّف عبد الرزاق الصنعانى .

فتأثر ابن أبى الدنيا بهذين المدَّين الكريمين ، وحصل له شرف اللقاء والمعاصرة بإمام من أئمة العلم والزهد معاً ، ذلك هو الإمام أحمد بن حنبل . فرصد نفسه لطلب العلم، وتخلَّق بأخلاقه ، وسلك طريق التعبد والزهد ، ولازم أهله والموصوفين به ، حتى أصبح من أعلام العصر ، وجمع من أخبارهم الشىءَ الكثير . قال ابن الجوزى : «وكان يقصد حديث الزهد والرقائق ، وكان لأجلها يكتب عن البَرْجُلانى ، ويترك عَفَّان ابن مسلم،وكان ذا مُروءة ،ثقة صدوقاً،صَنَّفَ أكثر من مائة مصنف فى الزهد»(١)، وقال ابن تَغْرى بَرْدى : « وكان عالماً زاهداً ورعاً عابداً » (٢). وقال ابن النديم : «وكان ورعاً زاهداً عالماً بالأخبار والمرويات » (٣).

فى هذه المدينة العامرة الزاخرة (بغداد) نشأ ابن أبى الدنيا حيث المحدثُ والفقيه والمؤدبُ والزاهدُ هم أبناء هذا المجتمع ومادته ، وكان للظاهرة العلمية والزهدية أبلغ الأثر فى بناء شخصية ابن أبى الدنيا وتكوينه العلمى .

٤ ـ بيئته الصغرى :

كانت أسرة ابن أبى الدنيا أسرة خير وفضل ، وبيته بيت علم وصلاح ، فأبوه من العلماء المهتمين بالحديث وروايته، مما ساهم فى نشأته العلمية،وتكوينه فى وقت مبكر.

---

(١) ابن الجوزى ـ المنتظم : ٥ / ١٤٨ .
(٢) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة : ٣ / ٨٦ .
(٣) ابن النديم ـ الفهرست : ٢٦٢ .

فحبَّبته أسرته فى العلم والعلماء ، ودفعت به إلى حلَق العلم ، فأقرأته القرآن ، والفقه ، وحببته فى سماع الحديث وكتابته . وبحكم أنَّ والده كان من العلماء المهتمين بالحديث وروايته ، فإنه دفع بابنه إلى السَّماع من أعلام العصر وحفاظه وَسِنُّه دون البلوغ ، ومِنْ هؤلاء الحفاظ : سعيد بن سليمان الواسطى ـ سَعْدويه ـ (ت ٢٢٩ هـ)، وأبو عُبيد القاسم بن سَلام (ت ٢٢٤ هـ)، وخالد بن خداش البصرى (ت ٢٢٣ هـ)، فأدرك بهؤلاء وطبقتهم إسناداً عالياً ، وشارك أصحاب الكتب الستة فى كثير من شيوخهم . وقد دلَّت بعضُ الروايات على أنَّهُ استقلَّ وأخذ يطوف على المشايخ بنفسه ، وسنُّه دون العاشرة (١) .

وبهذه العناية المركزة والمبكرة من أسرة ابن أبى الدنيا ، وبما كان له من الهمة والإقبال الكبير استطاع أنْ يجمع علماً غزيراً ، ويتتلمذ على مئات المشايخ من أئمة العصر وحُفاظه . قال الذهبى : « وقد جمع شيخنا أبو حجاج الحافظ أسماء شيوخه على المعجم ، وهم خلق كثير » (٢) ثم ذكر الذهبى جزءاً منهم ، فبلغ عددهم أربعة وتسعين شيخاً . وبلغ عدد شيوخه فى « كتاب الصمت » وحده أكثر من مائتى شيخ ، وكذا فى « كتاب العيال » .

وبهذا تكونت شخصيةُ ابن أبى الدنيا العلمية ، فهو حنبلى المذهب ، سلفى العقيدة ، زهدى المشْرَب ، وعمل على بثِّ هذه الروح الأخلاقية الإيمانية ، ورصد نفسه لها ، وأنشأ فى تقعيدها وإذاعتها ما يزيد على مائة مصنف .

٥ ـ أثره فى مجتمعه :

وكان لابن أبى الدنيا الأثرُ الكبيرُ فى مجتمعه ، تَجَلَّى ذلك فى تربيته لأولاد الخلفاء(٣) الذين هُم مِن أهم طبقات المجتمع ، وممَّن سيتولى مقاليد أمور المسلمين ، وبصلاحهم تصلح البلاد ،ويسعد العباد . كما تَجَلَّى فى تَدريسه وتعليمه لعدد هائل من طلبة العلم ، وقد تخرج على يديه منهم جمعٌ غفير ، أصبحوا من أفراد الأمة عِلْماً وصلاحاً.

---

(١) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد : ١٠ / ٩٠ ، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب : ٦ / ١٣ ، وانظر ابن الجوزى : المنتظم : ٥ / ١٤٨ . وهى رواية إبراهيم الحربى فى السماع من عفان بن مسلم الصفار والمعروف عن عفان أنه اختلط فى ٢١٩ هـ ـ أى قبل وفاته بعام أو أقل ـ وقد تركوا السماع منه بعد اختلاطه ، وسيأتى الكلام عليها فى منزلته العلمية .

(٢) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٣٩٧ .

(٣) انظر تفصيل ذلك فى فصل : « مكانته العلمية » .

كما ساهم فى الحركة الإصلاحية التى استهدفت تربية الجماهير العظيمة المقبلة على هذا الدين ، عن طريق التأليف والتصنيف مقتفياً أثر شيخه الإمام أحمد ومَنْ قبله من أمثال عبد الله بن المبارك وسفيان الثورى ، فألف فى التربية والزهد والرقائق مؤلفات جَمَّةً ، وصفها الحافظ ابن كثير[1] فقال : « المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة فى الرقاق وغيرها ، وهى تزيد على مائة مصنف ، وقيل : إنها نحو الثلثمائة مُصَنَّف » .

ويكفى للدلالة على حرصه فى تسديد المسلمين ، وتحذيرهم من مزالق الشيطان قيامه بوضع هذه التآليف الوافرة فى ميدان الأخلاق والتربية والإصلاح ، وعلى رأسها «كتاب الصمت وآداب اللسان »[2] فإنه قد صنفه فى فترة كانت مشحونة باللغط واللغو والانقسامات وما يترتب عليها من مشاحنات ،وهو أمر يفرزه الترفُ الفكرى ، وتعين عليه البطالة ، وفى مثل هذا الجو يزخرف الشيطان للناس حبَّ الكلام حتى تصبح شهوةً مُستحكمةً ، ويُزَيِّنُ لكل قائل مقالته . وهذا ينبهنا ـ أيضاً ـ إلى أن الحافظ ابن أبى الدنيا كان مربياً مع كونه عالماً ، وداعية قصد بالتصنيف نصيحةَ الأُمة ، والأخذَ بيدها ، لا مجرد التصنيف فحسب ، فكانت مصنفاته هادفة ، لذا عم نفعُها وذاع صيتُها، وعظم أثرُها .

واستمر أبو بكر ابن أبى الدنيا مؤدياً لرسالته إلى آخر حياته ، وظلَّ يبث العلم ، ويتصدر لتدريسه ، وقد جاوز السبعين من عمره . إذ سمع منه كثير من الطلبة فى آخر حياته ، حتى السَنَةَ التى توفى فيها . أمثال الخُتَّلى عبد الرحمن بن أحمد البغدادى[3] (ت بضع وثلاثين وثلاثمائة)،وابن الجراب إسماعيل بن يعقوب البغدادى البزاز[4] (ت٣٤٥ هـ).

٦ ـ حزمه ورجولته :

لقد حفظت لنا بعض المصادر صورة مشرقة من صور الحزم والرجولة فى شخصية ابن أبى الدنيا فإنه قال مرة : (كنت أُؤَدِّبُ المكتفى فأقرأته يوماً « كتاب الفصيح » فأخطأ ، فقرصتُ خَدَّه قرصة شديدة ، وانصرفت ، فلحقنى رشيق الخادم فقال : يُقالُ

---

(١) البداية والنهاية : ١١ / ٧١ .

(٢) انظر : الفصل الذى عقدناه عن الكتاب وأهميته .

(٣) انظر ترجمته فى الفصل الثانى « شيوخه وتلاميذه » .

(٤) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٦ / ٣٠٤ ، الذهبى ـ سير أعلام النبلاء : ١٥ / ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .

لك : ليس من التأديب سماعُ المكروه . قال : فقلت : سبحان الله أنا لا أُسْمِع المكروه غلامى ولا أمتى . قال : فخرج إلىَّ ومعه كاغَدٌ ، وقال : يقال لك : صدقت يا أبا بكر ، وإذا كان يوم السبت تجىء على عادتك . فلما كان يوم السبت جئته ، فقلت : أيها الأمير ، تقول عنى ما لم أقل ؟ قال : نعم يا مؤدبى من فعل ما لم يجبْ قيل عنه ما لم يكنْ) (١) .

وفى القصة دلالة صريحة على حزم ابن أبى الدنيا ، وعدم محاباته لأحد ، حتى ولو كان ابن أمير المؤمنين . وفيها حرصه الشديد على إفادة طلابه ومتابعتهم وعدم التهاون فى الأمور العلمية ، كما فيها ثقة الخليفة المعتضد به وبصدقه ، مما دعاه إلى أن يكذب ابنُه الأمير المكتفى ، فردَّ لابن أبى الدنيا اعتباره ودعاه إلى مواصلة تأديب ابنه . كما أنَّ فيها منقبةً للمعتضد ، من رجاحة عقل ، وعدل وإنصاف ، فلم تأخذه العزَّةُ « وهو المُسَمَّى بالسَّفَّاح الثانى » حينما أُهين ابنهُ . بل أقرَّ ابن أبى الدنيا على صنيعه ، ودعاه لمواصلة تأديبه لابنه .

٧ ـ ظرافته وأدبه :

ومما وصلنا كذلك من جوانب شخصية ابن أبى الدنيا هذه الصورةُ التى تدل على ظرافته ،وخفة رُوحه ، وأدبه مع طلابه ، وحُبه لهم ، مع أنه كان من كبار الشخصيات وقت ذاك علْماً ومكانةً .

قال عمر بن سعد القراطيسى : « كنا عند باب ابن أبى الدنيا ننتظر ، فجاءت السماء بالمطر ، فأتتنا جارية برقعة ، فقرأتها فإذا فيها مكتوب :

أنا مُشْتاقٌ إلى رُؤْيتكُمْ ... يا أخلائى وَسَمْعى وَالبَصَرْ
كيفَ أنْساكُمْ وَقَلْبى عِنْدَكُمْ ... حالَ فِيمَا بَيْنَنا هَذا المَطَرْ(٢)

٨ ـ وَرَّاقُهُ :

وكان للإمام ابن أبى الدنيا وَرَّاقٌ ، هو تلميذه أحمد بن محمد بن إسحاق بن

---

(١) ابن شاكر الكتبى ـ فوات الوفيات : ١ / ٤٩٤ ـ ٤٩٥ .
(٢) ابن الجوزى ـ المنتظم : ٥ / ١٤٨ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية : ١١ / ٧١ .

يزيد، أبو بكر البغدادي واشتهر بأنه وراق ابن أبي الدنيا . حدَّث عن إسحاق بن حاتم العلاف ، وحميد بن الربيع ، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه ، وابن أبى الدنيا وغيرهم ، وروى عنه محمد بن على بن حبيش الناقد ، ومحمد بن خلف الخلال ، وابن لؤلؤ الوراق[1].

٩ ـ وَفاتُهُ :

توفى الحافظ أبو بكر ابن أبى الدنيا يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جُمادى الآخرة [2] سنة (٢٨١ هـ ـ ٨٩٤). وقد أجمع المؤرخون على وفاته فى هذا العام ، سوى محمد بن شاكر الكُتُبى فأرَّخ وفاته سنة اثنتين وثمانين ومائتين [3].

وقد أورد الخطيبُ روايةً تذكر وفاته سنة (٢٨٠ هـ) ، ثُمّ نقدها قال : « قال القاضى أبو الحسن : وبكرت إلى إسماعيل بن إسحاق القاضى يوم مات ابن أبى الدنيا، فقلت له : أعزَّ الله القاضى مات ابن أبى الدنيا ، فقال : رحم الله أبا بكر ، مات معه علمٌ كثيرٌ ، يا غلام امض إلى يوسفَ حتى يصلى عليه ، فحضر يوسفُ بن يعقوب ، فصلى عليه فى الشونيزية ، ودُفن فيها سنة ثمانين » .

قال الخطيبُ : هذا وهمٌ . كانت وفاة ابن أبى الدنيا فى سنة إحدى وثمانين [4]. ثُمَّ دَلَّلَ على ذلك بروايتين صحيحتين .

والراجح أنه توفى فى جُمادى الأول لأربع عشرة ليلة خلت من سنة إحدى وثمانين ومائتين ببغداد ،لاتفاق أغلب الروايات على ذلك ، وصلى عليه القاضى يوسف بن يعقوب البصرى ، ودفن بالشونيزية . رحمه الله رحمة واسعة ، وألحقنا بالصالحين من عباده .

١٠ ـ أولاده :

لم تذكر المصادر شيئاً عن أولاد ابن أبى الدنيا ، والذى نفهمه من بعض الروايات

---

(١) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٤ / ٣٩١ .

(٢) ابن النديم ـ الفهرست : ٢٦٢ ، ابن الجوزى ـ المنتظم : ٥ / ١٤٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٩٨ ، وممن أرخ وفاته فى جمادى الأولى من السنة المذكورة : الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٠ / ٩١ ، وابن كثير ـ البداية والنهاية : ١١ / ٧١ ، والذهبى ـ العبر : ٢ / ٥٦ ، وتذكرة الحفاظ : ٢ / ٦٧٩ ، وأرخه المسعودى فى المحرم ، مروج الذهب : ٤ / ١٨٣ .

(٣) محمد شاكر الكتبى : فوات الوفيات ١ / ٤٩٤ .

(٤) الخطيب ـ تاريخ بغداد ١٠ / ٩١ .

أنه ليس له أولاد ذكور . فقد أورد الخطيب البغدادى قصة طلب الخليفة الموفق رؤية ابن أبى الدنيا [1] ، وفيها أنَّ الخليفة أمر له بخمسةَ عشر ديناراً فى كل شهر .

قال أبو ذر القاسم بن داود : فكنت أقبضها لابن أبى الدنيا إلى أنْ مات . فالرواية يُشَمُّ منها أنه ليس له ولد ، وإلا لما أوكل تلميذه القاسم بن داود ليقبضها له إلى حين وفاته ، والله أعلم .

(١) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٠ / ٩٠ .

المبحث الثانى

شيوخه

إنَّ تبكير ابن أبى الدنيا فى طلب العلم ، وهو فى سن التمييز ـ دون العاشرة ـ وحفاوة أسرته به ، وتشجيعهم إياه ، وكون والده من أهل العلم والرواية ، والبيئة التى نشأ بها ، كل هذه الأسباب ساعدت ابن أبى الدنيا على أن يتحمل مثل هذا العلم الوفير الغزير .

واستطاع أن يُدرك إسناداً عالياً ، وتمكن مِنَ السماع ـ وسنه دون البلوغ ـ من الإمام الحافظ خالد بن خِداش البصرى (ت٢٢٣هـ)، وابن أبى الأسود الإمام الحافظ الثبت عبد الله بن محمد البصرى (ت٢٢٣ هـ) ، والإمام الكبير أبى عُبيد القاسم بن سلام البغدادى (ت٢٢٤هـ) ، والإمام إبراهيم بن مهدى المصيصى البغدادى (ت٢٢٥هـ) ، والإمام الحافظ المعمر سعيد بن سليمان سَعْدويه ، نزيل بغداد (ت٢٢٥هـ) .

وتخرج بأعلام الحفاظ ؛ مثل الإمام المُسْنِد على بن الجعد (ت٢٣٠هـ) صاحب المسْنَد ، والإمام الحافظ أحمد بن منيع (ت٢٢٤هـ) ، والإمام خلف بن هشام البزار المقرى البغدادى (ت٢٢٩هـ) ، والمؤرخ الحافظ محمد بن سعد أبى عبد الله البغدادى، كاتب الواقدى (ت٢٣٠هـ).

وبهذه الهِمَّة تَحَصَّلَ له السماع والتَّحَمُّل عن مئات مِن جهابذة العلماء . قال الذهبى : « وقد جمع شيخنا أبو الحجام الحافظ أسماء شيوخه على المعجم ، وهم خلق كثير » (١).

ثم عَدَّ الذهبى جملة منهم ، على سبيل الاختصار ، فبلغوا أربعة وتسعين شيخاً . وعدتهم عند الحافظ المزى مائة وتسعة عشر شيخا ، ذكرهم مرتبين على حروف المعجم(٢).

---

(١) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٣٩٧ .

(٢) المزى ـ تهذيب الكمال ٢ / ٧٣٦ نسخة دار الكتب المصرية المصورة .

وقد تَحَصَّلَ لى من شيوخه ـ فى « كتاب الصمت » وحده ـ مائتان وخمسة عشر شيخاً من شيوخه الذين سمع منهم سماعاً مباشراً ، وكذا هو الحال فى « كتاب العيال » تقريباً .

فقد كان لرغبته فى طلب العلم ، وهمته فى جمعه وتحصيله ـ بعد جمعه لحديث الأئمة ـ يتتبع حملة العلم من الغرباء والمغمورين ، ومن هم دونه من العلماء والمحدثين ليُشبع نهمته ويملأ جَعْبته ، مما جعل الذهبىَّ يقولُ فيه[1] :

« ويروى عن خلق كثير لا يُعْرَفون ، وعن طائفة من المتأخرين كيحيى بن أبى طالب ،وأبى قلابة الرَّقاشى ، وأبى حاتم الرَّازى ، ومحمد بن إسماعيل التِّرْمذى ، وعباس الدُّورى » .

وقد اخترنا أنْ نتحدث عن خمسة من شيوخه بشىء من التفصيل ممن كان لهم أثر ظاهر فى صقل شخصيته العلمية وتكوينه .

١ ـ محمد بن عبيد ـ والد ابن أبى الدنيا :

نشأ ابن أبى الدنيا وتعلم فى كنف ورعاية وتربية والده ، الإمام محمد بن عبيد بن سفيان ، مولى بنى أمية .

روى عن هُشيم بن بشير ، وجرير بن عبد الحميد ، وسفيان بن عيينة ، وأبى بكر ابن عيَّاش ، وهشام بن محمد الكلبى ، ومحمد بن جعفر المرانى .

وكان له فى ابن أبى الدنيا أعظم الأثر ، وخصوصاً فى جانبى الحديث والزهد ، فقد سمع منه حديثاً كثيراً ، وقد بلغ عدد الروايات التى سمعها منه ابن أبى الدنيا فى هذا الكتاب عشر روايات [2]. وتغلب على مروياته الزهديات والرقائق . قال الخطيب البغدادى [3] : « روى عنه ابنه أبو بكر ـ يعنى ابن أبى الدنيا ـ أحاديث مستقيمة » .

٢ ـ الإمام الزاهد محمد بن الحسين البَرْجُلانى :

اتصل ابنُ أبى الدنيا فى أول نشأته العلمية اتصالاً وثيقاً بإمام كبير من أئمة الزهد. ذلك هو الشيخ الإمام أبو جعفر محمد بن الحسين بن أبى الشيخ البَرْجُلانى[4] صاحب

---

(١) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٣٩٩ .

(٢) انظر : النصوص التالية : ١ ، ٧٧ ، ١١٧ ، ١٥٥ ، ٢٠١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٣) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٢ / ٣٧٠ .

(٤) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٢ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، أبو يعلى ـ طبقات الحنابلة : ١ / ٢٩٠ ، الذهبى ـ سير النبلاء : ١١ / ١١٢ .

التآليف فى الزهد والرقائق .

وقد صحبه ابنُ أبى الدنيا ، وهو فى العاشرة من عمره ـ تقريباً ـ كما يُفهم من رواية إبراهيم الحربى [1] . ومن شدة تعلقه به ، وتأثره بمشربه كان يدعُ عَفَّانَ بن مسلم المحدث الحافظ الثقة ، ويذهب إلى البَرْجُلانى ، مع أنَّ طلاب العلم كانوا يقصدون عَفّانَ من كل مكان .

وكان للبَرجُلانى أثران كبيران فى مسار حياة ابن أبى الدنيا العلمية ؛ جانب الزهد والعناية بالتراث التربوى الأخلاقى ، وجانب الاتجاه المذهبى . فقد كان حنبلى المذهب متأثراً بالإمام أحمد ، وكان الإمام يحبه ويثنى عليه . قال أبو حاتم : « سأل رجل أحمد بن حنبل عن شىء من حديث الزهد ؟ فقال : عليك بمحمد بن الحسين البَرْجُلانى » [2] . وقد صنَّفه ابنُ الجوزى فى مَنْ حدَّث عن الإمام أحمد من مشايخه ، ومن الأكابر[3] ، وأورد له رواية من طريق ابن أبى الدنيا عنه عن أحمد مرفوعة[4] .

وانتقد الحافظُ ابن حجر الذهبى على إيراده ترجمة البَرْجُلانى فى « الميزان » فقال: « وما لذكر هذا الرجل الفاضل الحافظ ـ يعنى فى الضعفاء ـ وقد ذكره ابن حبان فى الثقات » [5].

قال الذهبى : « روى عنه ابن أبى الدنيا كثيراً » [6].

وهو الذى حبب لابن أبى الدنيا زيارة أحمد ، والسماع منه ، والتأثر بمذهبه ، توفى ببغداد سنة ٢٣٨ هـ .

٣ ـ الإمام الربانى أحمد بن حنبل الشيبانى[7] :

أحد الأئمة الأعلام علماً وفضلاً وزهداً وصلاحاً ، شيخ الإسلام ، كان له الأثر البالغ فى الجيل الذى عاصره ، وانتفع من علمه وزهده خلائق لا يُحْصون ، ومنهم ابنُ أبى الدنيا .

فقد لازمه وانتفع من فقهه وزهده ، وأخذ عنه منهج التربية بأحاديث الزهد

---

(١) انظر : فصل قيمته العلمية ، فى المؤاخذات عليه .
(٢) ابن أبى حاتم ـ الجرح والتعديل : ٧ / ٢٢٩ .
(٣) ابن الجوزى ـ مناقب الإمام أحمد : ٨٣ .
(٤) المصدر نفسه : ٨٨ .
(٥) ابن حجر ـ لسان الميزان : ٥ / ١٣٧ .
(٦) الذهبى ـ سير النبلاء : ١١ / ١١٢ .
(٧) أبو نعيم ـ حلية الأولياء : ٩ / ١٦١ ـ ٢٣٣ ، الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٤ / ٤١٢ ، ابن أبى يعلى ـ طبقات الحنابلة : ١ / ٤ ـ ٢٠ .

والرقائق ، وتأثر بكتابه « الزهد » وألف على غراره وسماه بنفس الاسم [1] وكان يسألُ الإمام عن الفتاوى الفقهية ـ وسنُّه فى حدود العشرين ـ وقد سأله مرة : ما أقول بين التكبيرتين فى صلاة العيد ؟ فقال أحمد : تحمد الله ـ عز وجل ـ وتصلى على النبى ﷺ [2].

وسأله : متى يُصلى على السقط ؟ فقال : « إذا كان لأربعة أشهر صُلِّىَ عليه وَسُمِّى [3]. وقد عَدَّهُ ابنُ الجوزى فى جملة مَنْ حدَّث عن أحمد على الإطلاق من الشيوخ والأصحاب[4] . ثم ذكره فى أعيان أصحابه وأتباعه [5].

٤ ـ أبو عُبيد القاسم بن سلام [6]:

الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ، صنف التصانيف المونقة التى سارت بها الركبان. قال الذهبى : « وهو من أئمة الاجتهاد »[7] .

قال ابن سعد : « كان أبو عبيد مؤدباً صاحب نحوٍ وعربيةٍ ،وطلبٍ للحديث والفقه » [8].

حدث عنه ابن أبى الدنيا ولازمه وانتفع منه ، وكان لقاؤه به مبكراً فهو من قُدماء شيوخه [9] ، إذ دخل بغدادَ واستقرَّ بها سنين طويلة بعد سنة ٢١٣ هـ وكان صاحب إيمان متين وصلاح كبير ، قال أبو بكر ابن الأنبارى : « كان أبو عبيد ـ رحمه الله ـ يقسم الليل أثلاثاً : فيُصلى ثُلُثَه ، وينام ثُلُثَه ، ويُصنفُ الكتب ثلثه »[10]. فاستفاد منه فى هذا الجانب.

أما الأثر البالغ الذى حصل لابن أبى الدنيا من خلال ملازمته لأبى عبيد ، فهو حُبُّه وتعلُّقُه بمهمة التأديب والتربية للناشئة . وقد كان أبو عبيد مُؤَدِّباً كبيراً أَدَّبَ أهل الأمير هرثمة بن أعين [11].

---

(١) انظر : فصل « آثاره العلمية » .
(٢) ابن أبى يعلى ـ طبقات الحنابلة : ١ / ١٩٤ ـ ١٩٥ .
(٣) ابن أبى الدنيا ـ كتاب العيال ق ٩٩ ، ابن أبى يعلى ـ طبقات الحنابلة : ١ / ١٩٣ ، ابن الجوزى ـ مناقب الإمام أحمد : ٥١٠ .
(٤) ابن الجوزى ـ مناقب الإمام أحمد : ٩٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٥١٠ .
(٦) ابن سعد ـ طبقات ابن سعد : ٧ / ٣٥٥ ، الفاسى ـ العقد الثمين : ٧ / ٢٣ ـ ٢٥ ، الذهبى ـ سير النبلاء : ١٠ / ٤٩٠ ـ ٥٠٩ .
(٧) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٠ / ٤٩١ .
(٨) ابن سعد ـ الطبقات : ٧ / ٣٥٥ .
(٩) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٣٩٨ .
(١٠) السبكى ـ طبقات الشافعية : ٢ / ١٥٤ .
(١١) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٠ / ٤٩٣ .

ومهمة التأديب هذه كانت لا تُوَسدُ إلا إلى مَنْ توفرت فيه صفات جامعة للزهد والعلم والتربية . فأصبح ابنُ أبى الدنيا فيما بعد مؤدباً كبيراً ، حتى أدب أولاد الخلفاء.

وكان منْ آثار هذه الصحبة تَمكُّنِ ابن أبى الدنيا من اللغة ، فكان يُدَرِّسُ أبناءَ الخلفاء وغيرهم « كتاب الفصيح » للإمام ثعلب .

٥ ـ أبو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدى [١]:

الحافظ العلامة الحجة ، أبو عبد الله البغدادى ، مصنف « الطبقات الكبرى » كان كثير العلم ، كثير الحديث والرواية ،كثير الكُتُب ، كتبَ الحديث والفقه والغريب [٢].

قال الذهبى: « كان منْ أوعية العلم،ومَنْ نظر فى «الطبقات» خضع لعلمه »[٣].

وقد حدث عنه ابنُ أبى الدنيا ولازمه ، واستفاد منه العلم بالتاريخ والرواية ، وكان لقاؤه به مبكراً ،وذلك لأنَّ ابن سعد توفى سنة (٢٣٠هـ) [٤].

وكان من ثمرات هذه الصحبة النافعة أنْ تخرجَ ابنُ أبى الدنيا به ، فكانت له عناية كبيرة بالتاريخ والسِّيَر ، نتج عنها هذه المؤلفات الجيدة التى ألفها فى هذا الفن[٥] ، حتى قال فيه ابنُ شاكر الكتبى : « هو أحد الثقات المصنفين للأخبار والسِّيَر » [٦]. وساق الخطيب البغدادى فى ترجمة أسد بن عمرو البجلى إسناداً ،وفيه : « حدثنا ابن أبى الدنيا ، حدثنا محمد بن سعد ، وقال : مات أسد بن عمرو البجلى سنة ١٩٠ هـ» [٧].

---

(١) الكتبى ـ فوات الوفيات : ١ / ٤٩٤ ـ ٤٩٥ .

(٢) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٥ / ٣٢١ ـ ٣٢٢ ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان : ٤ / ٣٥١ ـ ٣٥٢ ، الذهبى ـ تذكرة الحفاظ : ٢ / ٤٢٥ .

(٣) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٥ / ٣٢٢ .

(٤) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٠ / ٦٦٥ .

(٥) انظر فصل « آثاره العلمية » .

(٦) الكتبى ـ فوات الوفيات : ١ / ٤٩٤ .

(٧) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١ / ١٩ .

المبحث الثالث

مكانته العلمية

أولاً : ثقافته :

إنَّ خير ما يُصور منزلة ابن أبى الدنيا العلمية ، واتجاهاته التربوية والإصلاحية هو آثارُهُ الكثيرة التى خلَّفها ، وما لَقِيَتْهُ مِن اهتمام العلماء والدارسين بها فى العصور المتعاقبة .

ويُضَمُّ إلى هذا سيرةُ ابن أبى الدنيا العلمية وثقافته العالية ، ذات الوجوه المتعددة التى أخرجت هذه الثمار الوافرةَ ، فكان حافظاً بارعاً ، ومحدثاً جهبذاً ، وفقيهاً عارفاً ، ومؤرخاً جامعاً ، وكان مُكثراً من رواية الشعر ، لغوياً متمكناً من العربية .

وهذه صورةٌ عن ثقافته ومعرفته ،وتمكُّنِه فى العُلوم .

١ ـ القراءات :

اهتمَّ ابن أبى الدنيا بقراءة القرآن الكريم ، واعتنى بدراسة علم القراءات فاتصل بالإمام الحافظ خلف بن هشام المقرى[١] (ت٢٢٩هـ) ، وكان من أئمة هذا الشأن ، فسمع منه ولازمه وسِنُّه دون العشرين ، وتميز ابن أبى الدنيا عن الخلائق التى لا تُحصى ممَّن تخرج بهذا الإمام ، فتمكن هو مِنْ إفراد مصنف فى قراءة خلف ، أسماه : «حُروفُ خَلَف » . فكان له فضل تقعيده هذه القراءة وتصنيفها كما ألف كتباً أخرى فى هذا الفن[٢] ،تدُل على تقدمه فيه ، وتمكنه منه .

٢ ـ الحديث :

وكذلك الحديث ، فإنَّ ابن أبى الدنيا نهض لطلب الحديث وسماعه ،وسِنُّه دون العاشرة ، واعتنى به عنايةً فائقةً ، فسمع كثرة من الكتبِ والمسانيد والسُّنَن ،ولقى المئات من الشيوخ والأئمة فتحمل منهم علماً غزيراً ، وكان من حُبه للحديث ،واستغراقه فى طلبه أنْ سمع ممن هم دون طبقته ، قال الذهبى : « حتى كتب عن أقرانه ، بل عن

---

(١) انظر ترجمته فى : « فصل شيوخه » .

(٢) انظر : « علم القراءات » فى « مؤلفاته » .

أصغر منه »[1] .

ولتمكنه من هذا العلم الشريف أُطلق عليه لقبُ « الحافظ » ومصنفاته كلها ــ على تنوع مادتها وفنونها ــ تُعتبر كُتُباً حديثية ، وذلك لأنها مروية بالإسناد وقد تلقاها من أفواه مشايخه . وله رأى مُعْتبر عند الأئمة فى نقد الرجال ، وهو ما يُسمى بعلم «الجرح والتعديل » . قال ابن حجر فى ترجمة « الحسن بن ذكوان » قال ابنُ أبى الدنيا: «وكان يحيى يُحدث عنه ، وليس عندى بالقوى »[2] وقال فى ترجمة « محمد بن فراس أبى هشام الضبعى » : « قال ابن أبى الدنيا : بصرى ثقة »[3] ولولا أن حكمه معتبر عند الأئمة فى هذا الشأن لما أوردوه فى مصنفاتهم ولما اعتبروه . وقد كان يصدر أحكاماً على بعض مَن لقيه من الشيوخ لتقييم حديثهم ، وبيان درجتهم ، من ذلك قوله فى أحد شيوخه: « حدثنا الوليد بن سفيان العطاردى البصرى ، وكان ثقة »[4] . وتبين لى أنَّ حكم ابن أبى الدنيا على هذا الشيخ بالتعديل ذو قيمة وأهمية بالغة ، فإنى لم أقف على مَنْ تكلم فيه سواهُ .

٣ ـ اللغة والأدب :

عُنى الحافظ ابن أبى الدنيا بالعربية منذ نشأته ،وتخرج بِعَلَم من أعلامها الكبار ، ذلك هو الإمام المجتهدُ أبو عبيد القاسم بن سلام[5] (ت٢٢٤هـ) .

وقد تمكن من اللغة حتى كان يُدَرِّس أمهاتها لطلابه ،حكى عن نفسه مرة فقال : (كنت أُؤَدِّبُ المكتفى ، فأقرأته « كتاب الفصيح »)[6].

كما أنَّه اهتم بالشعر والأدب ، وتخرج بالشاعر الأديب الشيخ محمود بن الحسن الوراق البغدادى[7] (ت٢٢٥هـ) .

وله مصنفات فى الأدب تدُل على تمكنه فيه[8]،وقد وصفه الذهبى بأنه كان «أديباً».

وكان يتعاطى نظم الشعر ،ونظمُه فيه[9] متوسط ، ويغلب عليه جانب المواعِظ والحِكَم ، وكان يرتجلُه أحياناً . ومما وَقَفْتُ عليه مِنْ نظمه هذه المقاطع :

---

(١) الذهبى ــ تذهيب تهذيب الكمال : ٢ / ١٨٤ب .
(٢) ابن حجر ـ تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .
(٣) المصدر نفسه ٩ / ٣٩٨ .
(٤) ابن أبى الدنيا ـ كتاب الإخوان : رقم ١٣٩ .
(٥) انظر ترجمته فى : « فصل شيوخه » .
(٦) الكتبى ـ فوات الوفيات : ١/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ .
(٧) انظر ترجمته فى : « فصل شيوخه » .
(٨) انظر : « فصل مؤلفاته » .
(٩) الذهبى ـ العبر : ٢ / ٥٦ .

قال عمر بن سعد القراطيسى : « كنا عند باب ابن أبى الدنيا ننتظر ، فجاءت السماء بالمطر ، فأتتنا جارية برقعة ، فقرأتها فإذا فيها مكتوب [1]:

أنا مُشْتاقٌ إلى رُؤْيتكُمْ ... يا أخلائى وَسَمْعى وَالبَصَرْ
كيفَ أنْساكُمْ وَقَلْبى عِنْدَكُمْ؟ ... حالَ فِيمَا بَيْنَنا هَذا المَطَرْ

ومن نظمه أيضاً :

إذا أنت صاحبت الرجال فكنْ فَتًى ... كأَنَّكَ مَمْلُوكٌ لكُلِّ رفيق
وَكُنْ [مثلَ طَعْمٍ][2] الماءِ عَذْباً وبارداً ... على الكَبِدِ الحَرَّى لكُلِّ صديق[3]

وكتب إلى المُعتضد وابنِه المُكْتفى ـ وكان مُؤدِّبهما :

إنَّ حقَّ التأديب حَقُّ الأُبوَّة ... عِنْدَ أَهْلِ الحِجَى وَأَهْلِ المُرُوَّه
وَأَحَقُّ الأنامِ أَنْ يَعْرِفوا ذا ... كَ ويرعوهُ أهلُ بيتِ النُّبُوه[4]

ودخل ابن أبى الدنيا على الحافظ يوسف القاضى ، فسأله عن قُوَّتِه ؟
فقال للقاضى : أجدنى كما قال سيبويه :

لا يَنْفَعُ الهِلْيَوْنُ والأُطْرِيفَلُ
انْخَرَقَ الأَعْلَى وَخارَ الأَسْفَلُ
وَنَحْنُ فى جِدٍّ وَأَنْتَ تَهزِلُ

فقال ابن أبى الدنيا :

أرانى فى انتقَاصٍ كُلَّ يَوْمٍ ... ولا يَبْقَى مَعَ النُّقْصانِ شَىٌّ
طَوَى العَصرانِ ما نَشَراهُ مِنِّى ... فَأَخْلَقَ جدَّتى نَشْرٌ وَطَىٌّ[5]

---

(١) ابن الجوزى ـ المنتظم : ٥ / ١٤٨ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية : ١١/ ٧١ .

(٢) فى (الكنش) : وكن كطعم الماء . والظاهر أن ما أثبتناه هو الصواب وذلك حتى يستقيم الوزن ، وهو من البحر الطويل .

(٣) « كنش لبعض المشارقة » ورقة ٢٩ رقم ١٨٦٥١ . المكتبة الوطنية بالعطارين ، فهرس الشيخ حسن حسنى عبد الوهاب ص ٢٨٥ ، وقد جردتُ الكتابَ كله فلم أعثر على النص ، وكان المخطوط متهالكاً عبثت فيه الأرضة أيما عبث ، وهو ناقص من آخره ، فلعل الأبيات فى السقط .

(٤) الكتبى ـ فوات الوفيات : ١ / ٤٩٤ .

(٥) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٤ / ٣١١ ، الذهبى ـ سير أعلام النبلاء ١٤ / ٨٦ .

وأخرج البيهقى فى « الزهد الكبير » عن أبى عبد الله الصفار قال : أنشدنى أبو بكر ابن أبى الدنيا :

إذا ما مضى القَرْنُ الذى أنتَ منهُمُو ... وخلفت فى قَرْنٍ فأنتَ غريبُ
وإنَّ امرأً قد سارَ خمسينَ حِجَّةً ... إلى منهلٍ من وردِهِ لقريبُ[1]

وأخرج الخرائطى عن علىٍّ بن الحسين ، قال : أنشدنى ابنُ أبى الدنيا :

لَوْ كُنْتُ أعْرِفُ فوقَ الشكر مَنْزِلَةً ... أعْلَى مِنَ الشُّكرِ عندَ الله فى الثَّمَنِ
إذاً منَحْتُكَها منِّى مُهَذَّبَةً ... حَذْوًا على حذوِ ما أوْلَيْتَ من حَسَنِ[2]

واهتمام ابن أبى الدنيا بالشعر ، وولعه فيه ظاهر فى مصنفاته ، فإنه يُكثر من إيراده فيها ، ويودع المتخير الجيد من مروياته الشرعية فى أبوابها اللائقة بها ، ولا يكاد يخلو مُصنف من مُصنفاته من الأبيات الشعرية الموجهة ، وهى كثيرة جداً فى بعض مصنفاته[3] .

٤ ـ التاريخ والسِّير والأخبار :

لقد كانت عناية ابن أبى الدنيا بالتاريخ والسير والأخبار عنايةً فائقةً ، فبادر لجمعه وسماعه وسِنُّه دونَ العشرين ،ومضى فى جمع هذا العلم وتحصيله وتتبعه حتى برع فيه. وتخرج بالإمام أبى عبد الله محمد بن سعد البغدادى كاتب الواقدى ، ومصنف «الطبقات الكبرى» وكان من العلماء الحفاظ[4] فلازمه وانتفع به ، كما تخرج بِعَلَمٍ آخر من أعلام هذا الفن ذلك هو الإمام الحافظ أبو حسان الزيادى الحسن بن عثمان البغدادى، مؤرخ العصر [5].

وما لبث ابن أبى الدنيا أن أصبح إماماً كبيراً من أئمة هذا الشأن ، شهد له العلماءُ بذلك ، قال المسعودى : « وقد أَلَّفَ الناسُ كتباً فى التاريخ والسِّير، مَمَّنْ سَلَفَ

---

(١) البيهقى ـ الزهد الكبير : ٦٤٥ . (٢) الخرائطى ـ كتاب فضيلة الشكر لله : ٦٣ .

(٣) انظر على سبيل المثال : « الإشراف فى منازل الأشراف » . تشستربتى رقم (٤٤٢٧) . وفى مكتبتى صورة عنه .

(٤) انظر ترجمته فى : « فصل شيوخه » .

(٥) الذهبى ـ سير النبلاء : ١١ / ٤٩٦ ـ ٤٩٨ وقد اصطحب الخطيب « تاريخ أبى حسان الزيادى » معه حينما رحل إلى دمشق وذلك لأهميته ، انظر : المالكى ـ تسمية ما ورد به الخطيب البغدادى رقم ٣٣٦ .

وخَلَفَ . . . » [1] وعَدَّ منهم ابنَ أبى الدنيا .

وقال ابنُ النديم: « وكان ورعاً زاهداً ، عالماً بالأخبار والروايات » [2].

وقال الذهبى : « وكان صدوقاً أديباً إخبارياً »[3] . وقال ابن شاكر الكتبى : « وهو أحد الثقات المصنفين للأخبار والسير » [4]، وكذا عَدَّهُ السَّخاوى فى المؤرخين [5]وقد نقل الأئمةُ أقواله فى كتبهم التاريخية ، وفى الجرح والتعْديل[6]وغيره .

قال الحافظ الذهبى ، فى ترجمة « سفيان الثورى » : « وكذا نسبه ابن أبى الدنيا عن محمد بن خلف التيمى ، غير أنه أسقط منه منقذاً والحارث ، وزاد بعد مسروق حمزة ، والباقى سواء » [7].

وساق الخطيب فى ترجمة « أسد بن عمرو الواسطى » إسناداً ، وفيه : « حدثنا ابن أبى الدنيا ، حدثنا ابن سعد قال : مات أسد بن عمرو البجلى سنة ١٩٠ هـ » [8].

قال ابنُ حجر فى ترجمة « عبد الله بن عمر العمرى »:« قال ابن أبى الدنيا : كان يُكنى أبا القاسم ، فتركها ، واكتنى أبا عبد الرحمن. وأرخ وفاته مثل ابن سعد » [9]. وقد أكثر ابنُ الجوزى ـ الاقتباس منه فى كتابه « المصباح المضىء فى خلافة المستضىء » حتى بلغ ما نقله عنه خمسين موضعاً [10]. وكذا سبقه الخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » وابن كثير فى«البداية والنهاية » وغيرهم[11] .

وقد حكى الخطيب البغدادى حكاية طويلة جرت لابن أبى الدنيا مع الخليفة الموفق وابنه المكتفى ،تدل على تمكنه من علمه ، وطول باعه فى التاريخ والأخبار،وموجزها : أنَّ المكتفى كان لا يُحبُ الكُتَّاب ويستثقله ، فلما وُكِّلَ ابنُ أبى الدنيا بتأديبه أحَبَّهُ وانشرح له ، فلمَّا رأى الخليفةُ ذلك ، طلب رؤيته ، قال ابن أبى الدنيا : «فأُحْضِرتُ، فقربْتُ قريباً منْ سريره ، وابتدأت فى أخبار الخلفاء ومواعظهم فبكى بكاءً شديداً .

(١) المسعودى ـ مروج الذهب : ١ / ٢٠ ـ ٢١ . (٢) ابن النديم ـ الفهرست : ٢٦٢ .
(٣) الذهبى ـ العبر : ٢ / ٥٦ . (٤) الكتبى ـ فوات الوفيات : ١ / ٤٩٤ .
(٥) السخاوى ـ الإعلان بالتوبيخ : ٤٢٦ ، روزنثال ـ علم التاريخ : ٦٩٠ .
(٦) انظر « علم الحديث » من هذا الفصل . (٧) الذهبى ـ سير النبلاء : ٧ / ٢٣٠ .
(٨) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١ / ١٩ . (٩) ابن حجر ـ تهذيب التهذيب : ٥ / ٣٢٧ .
(١٠) ابن الجوزى ـ المصباح المضىء : ١ / ١٠٧ ، ١٤٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩٧، ٢ / ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨، ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ١٠٠ ، ٢٣٢ ، ٢٥٠ . . . إلخ .
(١١) الدكتور أكرم العمرى ـ موارد الخطيب ص ١٥٩ ـ ١٦٢ .

قال: وابتدأتُ فقرأتُ عليه نوادرَ الأعراب ، قال : فضحك ضحكاً كثيراً ، ثُمَّ قال : شهرتنى ، شهرتنى » ثم أمر له الخليفةُ خمسة عشر ديناراً فى كلِّ شهر ، فكان يَقْبِضُها حتى مات [1].

وقد صَنَّفَ ابنُ أبى الدنيا مصنفاتٍ جليلةً فى هذا الفن ، تدل على طُول باعه فيه، وَوَفْرة علمه . فألَّف فى تراجمِ الأشراف ، والأولياء ، وأخبارِ قريشٍ ، وأخبارِ الأعرابِ ، وتاريخ الخلفاء .

كما أَلَّفَ فى السِّير ودلائل النُّبوة ، وأعلامها ، وأخبارِ الملوك . وأفرْدَ مصنفات فى سِيَرِ الأعْلامِ كُلٌّ على حدةٍ ، فوضع كُتباً فى أخبار أويس القرنى ، وأخبار معاوية ، وأخبار الثورى ، وفضائل على بن أبى طالب ، كما أفرد مصنفاتٍ فى الأحْداث الأليمة التى رُزئتْ بها الأُمَّةُ كمقتلِ عثمان ومقْتلِ علىٍّ ،والحُسين ، وطلحةَ ، والزبير ، وابن الزبير ، وسعيد بن جبير ، وغير ذلك كثير[2] . حتى أنَّ الخطيب البغدادى توسع فى الاقتباس من ابن أبى الدنيا ، فقد اقتبس منه (٧٧) نصاً منها (٣٣) نصاً تتعلق بأخبار الخلفاء وكذا ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » وابن كثير فى « البداية والنهاية »[3] .

وكان ابن أبى الدنيا بارعاً فى العلوم الأخرى كالفقه ، وله فيه المصنفات الحسانُ ، فألف فى الأُضحية ، وذم المُسكرِ ، والرهائنِ ، وصدقةِ الفِطر ، والعِيدَيْنِ ، والقِصاص، والمناسك وغير ذلك [4].

* * *

وكذلك فى العقائد ، فإنه صَنَّفَ فيها مؤلفات نافعة مثل « البعث والنشور » و«دلائل النبوة » و « صفة الجنة » و « صفة النار » و « صفة الصراط » و « الموقف » وغير ذلك [5].

وله مشاركةٌ حسنةٌ فى علوم أخرى ، وإنما فَصَّلْنا الكلامَ فى بعضِها لتقدُّمه وجلالته فيها ، ولأنها مجال تَخصُّصه وإبداعه .

---

(١) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٠ / ٩٠ .

(٢) انظر : « فصل مؤلفاته » .

(٣) انظر : موارد الخطيب ـ للدكتور أكرم العمرى ص ١٥٩ ـ ١٦٢ .

(٤) و (٥) انظر « فصل مؤلفاته » .

٥ ـ الزهد والرقائق :

أمَّا علمُ الزهدِ والرقائق والأخلاق فهو فارسُ ميدانه ، وحاملُ لِوائه ، وجامعُ شَتاتِه ، والمعروفُ به ، « ومَنْ أكثر مِنْ شيءٍ عُرِفَ به ».

وكان قد صحبَ الإمامَ الزاهدَ محمدَ بن الحسينِ البَرْجُلانى ـ صاحبَ المُصنّفات فى الزهدِ والرقائق ـ وسنُّه دون العاشرة ، فلزمَه ملازمةً دائمةً حتى تخرَّجَ به ، كما تخرجَ بإمامٍ من أئمة هذه المدرسة ذلك هو الإمامُ أحمدُ بن حنبل . قال ابن الجوزى : « وكانَ يَقْصُدُ حديثَ الزهد والرقائق ، وكان لأجْلها يكتب عن البَرْجُلانى ، ويتركُ عفانَ ، وكان ذا مروءة ، ثقةً صدُوقاً ، صنَّف أكثرَ من مائة مُصنف فى الزهد » (١) . وقال ابن كثير : « المُصنَّفُ فى كل فنٍّ ، المشهورُ بالتصانيفِ الكثيرةِ النافعةِ الشائعةِ الذائعة فى الرِّقاق وغيرها وهى تزيدُ على مائة مُصنَّف ، وقيل : إنها نحْوَ الثلثمائة مصنف (٢). وقال المزِّى: « صاحبُ التصانيف المشهورة المُفيدة »(٣) وهكذا تواطأت شهاداتُ الأئمة فى الثَّناءِ على مُصنفاته الزُّهدية ، وبأنها شاعت بين الناس ،وعظُمَ نَفعُها عِنْدهم . وأصبحت مرجعاً لكلِّ مَنْ كتب فى هذه الأبواب ممّن خلفه منَ العلماء . قال ابن تغرى بَرْدى : « وله التصانيفُ الحسانُ، والناسُ بعده عيالٌ عليه فى الفنون التى جمعها » (٤). وَنَدَرَ أن يكون هناك بابٌ من أبوابِ الزُّهدِ والأخلاقِ إلا وله فيه مُؤَلَّفٌ مُسْتقلٌ .

ومن ذلك كتابُ « الصمتُ وآدابُ اللسان » و « كتاب الزُّهد » و « كتاب محاسبةُ النَّفسِ » و « كتاب اليقينُ » ، و « كتاب ذمُّ الدُّنيا » وغيرُ ذلك من المصنفاتِ الكثيرةِ جداً فى هذا البابِ (٥).

ثانياً : تأديبه أولاد الخلفاء وغيرهم :

كان ابن أبى الدنيا إلى ماذكرناه من رصانته العلمية ، وموسوعيته ، ووفرة عطائه، أستاذاً ماهراً ومُدرِّساً قديراً ، اصطفاه الخلفاءُ لتأديبِ أبنائهم وتثقيفهم ؛ لأنَّ التأديب فى ذلك الوقت عملٌ علميٌّ جليلٌ ، لا يليه إلا كُلُّ عالمٍ ضليعٍ باللغة والأدبِ(٦) ، ولا يُسْندُ إلاَّ إلى أهل النُّبلِ والاستقامَةِ ، ليكون تأديبُهم بالقُدْوةِ قَبْلَ الكلمةِ . وكان ابنُ

---

(١) ابن الجوزى ـ المنتظم : ٥ / ١٤٨ .
(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية : ١١ / ٧١ .
(٣) المزى ـ تهذيب الكمال : ٧ / ٣٩٥ ب .
(٤) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة : ٣ / ٨٦ .
(٥) انظر : « فصل مؤلفاته » فى كتاب « الصمت وآداب اللسان » : ٨٧ ـ ١١٠ بتحقيقنا .
(٦) الذهبى ـ سير النبلاء ، ١٣ / ٤٠٠ ، عبد المجيد قطامش ـ مقدمة كتاب الأمثال : ص٦ .

أبى الدُّنيا قد توفرتْ فيه هذه الصفاتُ بالإضافة إلى أنه كان شخصيةً محبوبةً ومؤثرةً وكان إذا جالسَ أحداً ، إنْ شاء أضْحكه ، وإن شاء أبْكاه فى آن واحد [1].

أمَّا أولادُ الخلفاء الذين أدَّبَهُم ابن أبى الدنيا فقد أغفلت المصادرُ ذكْرَهم واكتفت بالتعميم ، ولم تُسَمِّ منهم سوى اثنين وهما الخليفةُ المعتضدُ ، وابنهُ علىٌّ بن المعتضد الملقبُ بالمكتفى بالله . وأظنُّ السَّبب يرجعُ إلى أنَّ هذيْن حكَما فاشْتهرا ، وبقيةُ أبناءِ الخلفاءِ أُهمِلُوا لعدمِ شُهرتهم ، واكْتفى المؤرخُون بالتَّعميمِ .

قال ابنُ الجوزى : « وقد أدب غيْر واحد من أولاد الخلفاء ، منهم المعتضدُ وعلىٌّ ابن المعتضد ، وكان يُجرِى له فى كلِّ شهرٍ خمسة عشرَ ديناراً » [2].

وممَّنْ ذكر أنَّه أدبَ المعتضدَ ، ولم يزدْ عليه : الإمامُ الذهبىُّ ، قال: « قال ابن كامل: هو مؤدبُ المُعتضد» [3] وزاد فى « سير النبلاء » : «كان يؤدّبُ غير واحدٍ من أولادِ الخُلفاء» [4].

وممن ذكر أنه أدب المكتفى بالله ، ولم يزدْ : المسعودى [5].

وأما من عمَّمَ فقال : أدب غيْر واحدٍ منْ أولادِ الخلفاء ، فالخطيبُ [6] والمِزىُّ [7]، وابن حجرٍ [8] وغيرُهم .

والذى نخرج به من هذه النصوصِ أنَّ ابن أبى الدنيا قد أدَبَ المعتضدَ وابنه المكتفى بالله وغيرهم من أولادِ الخلفاء ، بالإضافة إلى تأديبه وتربيته وتثقيفه لجُمهورٍ كبير منْ تلامذَته ، ممن أصبح لهم شأنٌ كبيرٌ فيما بعدُ ، ولاسيما والحافظُ أبو بكر ابن أبى الدنيا واصل تَصَدُّرَه للإقراء حتى العام الذى توفى فيه ـ رحمهُ الله .

---

(١) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٤٠٠ .

(٢) ابن الجوزى ـ المنتظم : ٥ / ١٤٨ ، وذكر ذلك أيضاً ابن كثير ـ البداية والنهاية : ١١ / ٧١ ، وابن شاكر الكتبى ـ فوات الوفيات : ١ / ٤٩٤ ، وابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة : ٣ / ٨٦ ، وابن باطيش ـ التمييز والفصل ١ / ٣٢٢ .

(٣) الذهبى ـ طبقات الحفاظ : ٢ / ٦٧٨ ـ سير النبلاء : ١٣ / ٤٠٠ .

(٤) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٤٠٠ .

(٥) المسعودى ـ مروج الذهب : ١ / ٢٠ ، ٢١ ، ٨ / ١٨٣ .

(٦) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٠ / ٨٩ .

(٧) المزى ـ تهذيب الكمال : ٧ / ٣٩٥ ب .

(٨) ابن حجر ـ تهذيب التهذيب : ٦ / ١٢ .

أثرُ ابن أبى الدُّنيا فى الخلفاء الذين أدَّبهم :

١ ـ الخليفة المعتضدُ بالله ، أبو العباسِ أحمدُ بن طلحةَ [١] ، بويع سنة ٢٧٩ هـ وسِنُّهُ إحدى وثلاثين سنة .

وصف المسعودىُّ حالَ الرعية فى أيامه فقال : « ولما أفضت الخلافةُ إلى المعتضد بالله سكنت الفتَنُ ، وصلُحت البلدانُ ، وارتفعت الحروبُ ، ورخصت الأسعارُ ، وهدأ الهرجُ ، وسالمه كلُّ مخالفٍ ، وكان مُظَفَّراً قد دانت له الأمورُ ، وانفتح له الشرق والغربُ . . . » [٢] .

كان مراعياً للحدودِ الشرعية ، قال إسماعيل القاضى : « دخلتُ على المعتضد ، وعلى رأسه أحداثُ رومٍ ملاحٌ ، فنظرتُ إليهم ، فرآنى المعتضدُ أتأمَّلُهم ، فلمَّا أردتُ الانصرافَ ، أشار إلىّ ، ثُمَّ قال : « أيُّها القاضى ، والله ما حللت سراويلى على حرامٍ قطُّ » [٣] .

وقال إسماعيل القاضى : « دخلت على المعتضد ، فدفع إلىَّ كتاباً ، فنظرت فيه ، فإذا قد جُمع له فيه الرُّخَص من زَلَل العلماء وما احتجَّ به كل منهم لنفسه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين مُصنِّفُ هذا الكتاب زنديق . فقال : ألم تَصِحَّ هذه الأحاديث ؟ قلت : الأحاديث على ما رُويت ، ولكن مَنْ أباح المُسكِر لم يُبحْ المُتعة ، ومَنْ أباح المتعة لم يُبح الغِناء والمسكر ، وما مِنْ عالم إلا وله زَلَّة ، ومَنْ جمع زَلَلَ العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه . فأمر المعتضد فأحرق ذلك الكتاب[٤] .

ووصفه الذهبى فقال : « أسقط المَكس ، ونشرَ العدلَ ، وقلَّل الظلم ، وكان يُسمى السفاح الثانى ، أحيا رميم الخلافة التى ضعفت من مقتل المتوكل » [٥] «واكتسب المعتضد محبة الناس عندما أصدر أوامره بإبطال ديوان المواريث ، وبأن يُورث ذوو الأرحام ، كما منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها . ومنع القُصَّاصَ والمُنَجمين من الجُلوس فى الطريق ، وصلى بالناس صلاة الأضحى[٦] .

---

(١) المسعودى ـ مروج الذهب : ٤ / ١٤٣ ـ ١٨٥ ، الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٤٦٣ ـ ٤٧٩ .
(٢) المسعودى ـ مروج الذهب : ٤ / ١٤٣ . (٣) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٤٦٥ .
(٤) البيهقى ـ السنن الكبرى : ١٠ / ٢١١ ، الذهبى ـ سير النبلاء ١٣ / ٤٦٥ .
(٥) المصدر نفسه : ١٣ / ٤٦٥ .
(٦) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء : ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

وقد أخمَدَ فتناً عظيمةً ، وكان يسيرُ إلى أصحابها بنفسه [1] . فكانت أيامهُ كثيرة الأمنِ والرخاءِ » .

« وفى سَنَة ٢٨٢ هـ أبطل المعتضدُ ، وقيدَ النَّيرانِ ، وشعارَ النيروز » [2] تُوفى سنة (٢٨٩هـ) .

٢ ــ الخليفة المُكتفى بالله ، أبو محمدٍ علىٌّ بن المعتضدِ بالله ،وُلد سنة (٢٦٤ هـ) وبويع بالخلافة سنة ٢٨٩ هـ .

وكان حسن السيرة محبوباً عند الرعية ، سار سيرةً جميلةً فأحبه الناسُ ، ودَعوا له. قال الذهبى : « هَدَمَ المطاميرَ التى عملها أبُوه ، وصيَّرها مساجدَ ، وردَّ أملاكَ الناسِ إليهم ، وكان أبوه قد أخذها لعمل قصرٍ ، وأحسن السِّيرةَ ،فأحبَّه الناس » [3]، «وصلى المكتفى بالناس يوم الأضحى » [4] ، ومات شاباً له من العمر إحدى وثلاثين سنة ، وكانت وفاته سنة (٢٩٥هـ) [5] .

ثالثاً : رحلاته فى طلب العلم :

لم أجد فى كُتب التراجم ـ التى وقفتُ عليها ـ ذكراً لرحلات ابن أبى الدنيا فى طلبِ العلم وسماعه ، وهو جانبٌ مهمٌّ ، أهمله كلُّ مَنْ ترجم له ، كما أُهْمِلَ الكثيرُ من جوانب حياته الأخرى ، فلم يدوِّنوا لنا سوى بيانات يسيرة ، يصعب على الباحث فى سيرته ، أن يلتمس جوانبَ حياته المتنوعة من خلالها .

ولكن قد ظهر لى أثناء دراستى لمشايخه ، وتتبع التُّفَ المنثورة فى سيرته وحياته ، أن أحكُمَ فى شىءٍ من الثقة بأن ابن أبى الدنيا لم يرحل خارج العراق إلا لأداء فريضة الحج ، فكان مُعظم سماعه ببغداد ، سواءٌ من شيوخها النازلين بها ، أو من الشيوخ الوَافدين عليها من البلاد الأخرى ، فتكون رحلاته ضمن حُدود العراق كالبصرة والكوفة والمَوْصِل . وقد استنتجنا ذلك من روايته عن مشايخ بصريين وكوفيين وموصليين. ويؤكد صحة ما ذهبنا إليه: قولُ الإمام الذهبى:« أنه كان قليل الرحلة »[6]. أى أنه لم ينف عنه الرحلة ، وإنما وصفها بالقلة .

---

(١) الذهبى ــ سير النبلاء : ١٣ / ٤٧١ ــ ٤٧٦ . (٢) المصدر نفسه : ١٣ / ٤٧٣ .
(٣) الخطيب ــ تاريخ بغداد : ١١ / ٣١٦ ــ ٣١٨ ، الذهبى ــ سير النبلاء : ١٣ / ٤٧٩ ــ ٤٨٥ .
(٤) الذهبى ــ سير النبلاء : ١٣ / ٤٨٠ ، السيوطى ــ تاريخ الخلفاء : ٢٥٠ ــ ٢٥١ .
(٥) الذهبى ــ سير النبلاء : ١٣ / ٤٨٠ . (٦) الذهبى ــ سير النبلاء : ١٣ / ٣٩٩ .

ويبدو أن المسوغ له فى العُزُوف عن الرحلة ، والعكوف على بغدادَ هو ذلك العَدَد الهائلُ من العلماء النَّازلين فيها ، وفيهم ساداتُ الأمة ثقةً وعدالةً ، وضبطاً وإتقاناً ، وعلواً فى السَّند ، مع وفرةٍ فى المرويات ، كأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) وسعيد بن سليمان الواسطى سَعْدَويه (ت٢٢٥هـ) وخالد بن خِداش (ت٢٢٣هـ) وأحمد بن مَنيع (ت٢٤٤هـ) وعلى بن الجَعْد (ت ٢٣٠هـ) ويحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) .

أضف إلى هذا أنَّ بغداد كانت مركز الخلافة والحضارة والعلوم ، فكان العُلماء يأتونها من كُلِّ مكانٍ ، وكتابُ الخطيب البغدادى « تاريخ بغداد » خير شاهد على هذا. فاستثمر ابن أبى الدنيا هذه المزيَّة لبلده ، فكان يتتبع العلماء . الواردين عليها ، فسمع منَ البُخارى (ت٢٥٦هـ) والترمذى (ت٢٧٩هـ) وإسحاق بن أبى إسرائيل المروزى (ت ٢٤٥هـ) وخلقٍ كثير .

وصنيع ابن أبى الدنيا يتَّسقُ مع آدابِ طالب الحديث . قال الإمام النوويُّ : « ثم ليُفرغ جُهدَه لتحصيله ــ أى الحديث ــ بالسماع من شيوخ بلده إسناداً وعلماً وشهرة وديناً وغيره ، فإذا فَرَغَ فليرحل على عادةِ الحُفاظِ المُبرزينَ » (١) .

وعلى الرغم مما تقدم ، فإنَّ للرحلة ــ إذا صحت فيها النيةُ ــ فوائد جمة . ففضلاً عن أنها بابٌ جليلٌ من أبواب الجهاد والاجتهاد فى طلب العلم ، فهى تُمكِّنُ صاحبها من جمع مادة وافرة ، وإدراك الشيوخ المُعَمرين فيتحصل عُلوُّ الإسناد ــ ولقاء الحفاظ المتقنين والمذاكرةُ لهم والاستفادة منهم .

رابعاً : آراء العلماء فيه :

احتل ابن أبى الدنيا فى الحديث والآداب والسير مكانةً مرموقةً فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وصنفه الأئمة فى عِداد الحُفاظ الكبار ، واصطفته الخلفاء لتأديب أولادهم وتثقيفهم ، وكان طلبة العلم يقصدونه من كُلِّ مكان ليسمعوا منه .

قال الدكتور حسن إبراهيم : « وقد نبغَ فى عهد المعتضد كثيرٌ من الكتاب والمفكرين والشعراء نخُصُّ بالذكر منهم ابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ) مُثقِّف الخليفة المكتفى فى حداثته . . » (٢) .

---

(١) النووى ــ تقريب الإرشاد : ص٢٩ ، وانظر : السيوطى ــ تدريب الراوى : ٢ / ١٤٢ .

(٢) د . حسن إبراهيم ــ تاريخ الإسلام : ٣ / ١٨ .

وممن وثّقه وأبان عن فضله ومنزلته من النقاد المعاصرين له ابنُ أبى حاتم قال: « كتبت عنه مع أبى ، قال : وسُئِل أبى عنه ، فقال : بغدادى صدوق » (١) .

وقال أبو على صالح بن محمد البغدادىُّ ، المُلقب بجَزَرَةَ : « صدوق وكان يختلفُ معنا . . . » (٢) .

وقال القاضى أبو الحسن : وبكرت إلى إسماعيل بن إسحاق القاضى يوم مات ابن أبى الدنيا ، فقلت : أعزَّ الله القاضى ، مات ابنُ أبى الدنيا فقال : « رحم الله ابن أبى الدنيا ، مات معه علمٌ كثيرٌ » .

أما مَن وثّقه وأثنى عليه من الأئمة ممن خلفوه : المؤرخ المسعودى إذ ذكره فى وفيات (٢٨١ هـ) وذكر أنه مؤدب المكتفى بالله ، وصاحبُ الكتب المصنفة فى الزُّهد وغيره ، ثم قال : « وإنَّما نذكر وفاة هؤلاء لدخلوهم فى التاريخ ، وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله ﷺ » (٣) .

وقال ابن الجوزى : « كان ذا مروءةٍ ثقة صدوقاً » (٤) .

وقال ابن النديم : « وكان ورعاً عالماً بالأخبار والروايات » (٥) .

وقال إسماعيل بن باطيش : « وكان ثقة صدوقاً » (٦) .

وقال الذهبى : « المحدث العالم الصدوق » (٧) وقال أيضاً : « كان صدوقاً أديباً إخبارياً » (٨) .

وقال ابن كثير : الحافظ المصنف فى كل فن ، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة فى الرقاق وغيرها . . . ثم قال :« وكان صدوقاً حافظاً ذا مروءة » (٩).

وقال ابن شاكر الكُتُبى : « وهو أحد الثقاتِ المصنِّفينَ للأخبار والسِّيَر » (١٠) .

---

(١) ابن أبى حاتم ــ الجرح والتعديل : ٥ / ١٦٣ .

(٢) الخطيب ــ تاريخ بغداد : ١٠ / ٩٠ ، ابن الجوزى ــ المنتظم : ٥ / ١٤٨ ، ابن حجر ــ تهذيب التهذيب: ٦ / ١٣ ، ولكلامه بقية سنوردها فى الاعتراضات .

(٣) المسعودى : مروج الذهب : ٤ / ١٨٣ ــ ١٨٤ . (٤) ابن الجوزى ــ المنتظم : ٥ / ١٤٨ .

(٥) ابن النديم ــ الفهرست : ص ٢٦٢ . (٦) ابن باطيش ــ التميز والفصل : ١ / ٣٢٢ .

(٧) الذهبى ــ تذكرة الحفاظ : ٢ / ٦٧٧ .

(٨) الذهبى ــ العبر : ٢ / ٥٦ ، تذهيب تهذيب الكمال : ٢ / ١٨٤ ب ،وقال : « الحافظ الاخبارى ».

(٩) ابن كثير ــ البداية والنهاية : ١١ / ٧١ . (١٠) الكتبى ــ فوات الوفيات : ١ / ٤٩٤ .

وقال ابن تغرى بردى : « وكان عالماً زاهداً ورِعاً عابداً ، والناسُ بعده عيالٌ عليه فى الفُنون التى جمعها ، وروى عنه خلقٌ كثير،واتفقوا على ثِقَتِه وصدقِه وأمانَتِه »[1] .

وأمَّا مَن أطلق عليه لقب الحافظ ــ بالإضافة إلى من تقدم ــ الإمام المزى [2] ، وابن حجر العسقلانى[3] ، والسخاوى[4] ، وقال مرتضى الزبيدى : « حافظ الدنيا أبو بكر ابن أبى الدنيا » [5] .

والمعروف عند أئمة الحديث أن لَقَبَ « الحافظ » لا يُطلَقُ إلا على من أتقن هذا الفن ، وأوتى سعة فى معرفته ، ووقف على غوامضه ودقائقه .

ويكفيه فضلاً وفخراً أنَّ شيخاً كبيراً من مشايخه قد أخذَ عنه وهو الحافظ الكبيرُ الحارثُ بن أبى أسامة (ت ٢٨٢ هـ) [6] صاحبُ المسند وممن روى عنه من النجباء الجهابذة الإمامُ ابن ماجة محمد بن يزيد القزوينى (ت٢٧٣هـ) صاحب السنن ، وابن أبى حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازى (ت ٣٢٧ هـ) صاحب الجرح والتعديلِ ، وابن خزيمة محمد بن إسحاق الحافظ (ت ٣١١ هـ) صاحب الصحيح ، وخلق كثيرٌ. ذكرنا طرفاً منهم فى « فصل تلاميذه » .

مؤاخذاتهم عليه :

وقد أخذ بعضُ الأئمة ممن عاصر ابن أبى الدنيا ، ورافَقَه فى الطلب بعضَ المؤاخذات عليه ، وهى وإنْ كان مبالغ فيها ، فإنها فى نفس الوقت واردةٌ عليه . وسأذكر هذه الاعتراضات مع نقدها ، لنضعها فى إطارها الصحيح ، حتى تأخُذَ حجمها الحقيقى من غير مبالغة أو تساهُلٍ .

١ ــ أخذُهُم على ابن أبى الدنيا سماعه من محمد بن إسحاق البلخى . والذى آخذَهُ بها صاحبهُ فى الطلب ، الإمام الحافظ صالح بن محمد البغدادى الملقب بجَزَرَة . وتابعه فى إيرادها الخطيب البغدادى ، وابن الجوزى وابن حجر .

قال صالح بن محمد جَزَرَة ــ وقد سئل عن ابن أبى الدنيا ــ : « صدوقٌ ، وكان

---

(١) ابن تغرى بردى ــ النجوم الزاهرة : ٣ / ٨٦ . (٢) المزى ــ تهذيب الكمال : ٧ / ٣٩٥ ب .
(٣) ابن حجر ــ تهذيب التهذيب : ٦ / ١٢ .
(٤) السخاوى ــ الإعلان بالتوبيخ :ص ٤٢٦ ، روزنثال ــ علم التاريخ: ص ٩٦ ، فتح المغيث: ١ / ١٩٠ .
(٥) الزبيدى ــ إتحاف السادة المتقين : ٧ / ٨٨ . (٦) الذهبى ــ سير النبلاء : ١٣ / ٣٩٩ .

يختلف معنا ، إلا أنَّه كان يسمع من إنسان يُقالُ له : محمدٌ بن إسحاق بلخى ، وكان يضعُ للكلامِ إسناداً ، وكان كذاباً يروى أحاديث من ذات نفسه مناكير » (١) .

ومحمد بن إسحاق البلخى هذا هو اللؤلؤى ، قال فيه الذهبى : « الإمامُ الحافظ البارع » (٢) وساق فيه روايتين : إحداهما تُثْنِي عليه . وقال فى الأخرى : « ذكره الخطيبُ وأشار إلى تضعيفه » (٣) وأدخله فى كتابه تذكرة الحفاظ (٤) . ثم ذكره فى «ميزان الاعتدال » وقال : « وكان أحدَ الحُفاظِ إلا أنَّ صالح جَزَرَة قال : كذابٌ . وقال الخطيب : لم يكن يُوثَقُ به . وقال أحمد بن سيار المروزى : كان آية من الآيات فى الحفظ ، وكان لا يُكلمُه أحد إلا علاه فى كل فن . وقال ابن عدى : لا أرى حديثه يُشبه حديث أهل الصدق » (٥) .

فاستبان لنا أنَّ الرجلَ ضعيفٌ ، ولكنه حافظ كبيرٌ ، بارعٌ فى فنون العلم . وهبْهُ متهماً بإجماع الأمة متروكاً ، فإن ذلك ليس بقادحٍ فى مَن روى عنه من الحفاظ الكبار ، وقد روى ابن أبى الدنيا عن رجل آخر اسمه محمد بن إسحاق الضبى ، وقد تركه ابن أبى حاتم (٦) ، وروى عن جمهور عريض من المشايخ فى بعضهم ضعف متفاوتٌ . فما الغرابةُ فى ذلك وقد درج المُحدِّثون على ذلك ، فإنهم قد يتحملون الحديث والعلم عن الشيوخ عامة ، فإذا حدّثوا بالحلال والحرام تشددوا ، وإذا حدّثوا بفضائل الأعمال تساهلوا ، وقد يوردُونَ هذه الطُرَقَ الضعيفةَ فى بابِ المُتابعاتِ والشواهِد . أو يحملُونَ عنهم ولا يؤدُّونَ .

فانتقادُ الأئمة لابن أبى الدنيا لسماعه من محمد بن إسحاقَ أو غيره ، فيه تهويلٌ لأمرٍ شاركَهُ فيه الأئمةُ من المُحدِّثين ، فالإمام أحمدُ بن حنبل قد رَوى عن على بن مجاهد بن مسلم القاضى الكابلى ، وهو من شيوخه المباشرين ، وليس فى شيوخه أضعف منه ، قال ابن معين : كان يَضعُ الحديث . وكذبه يحيى بن الضريس ، وقال السليمانى : فيه نظر . وقال ابن حجر : متروكٌ (٧) . والترمذى أخرج لعطاء بن العجلان

---

(١) الخطيب ــ تاريخ بغداد : ١٠ / ٩٠ ، ابن الجوزى ــ المنتظم : ٥ / ١٤٨ ــ ١٤٩ ، ابن حجر ــ تهذيب التهذيب : ٦ / ١٣ .

(٢) و (٣) الذهبى ــ سير النبلاء : ١١ / ٤٤٩ . (٤) الذهبى ــ تذكرة الحفاظ : ٢ / ٤٢٦ .

(٥) الذهبى ــ ميزان الاعتدال : ٣ / ٤٧٥ ، ٤٧٦ .

(٦) ابن الجوزى ــ المنتظم : ٥ / ١٤٨ ــ ١٤٩ ، وانظر : ترجمته فى ميزان الاعتدال : ٣ / ٤٧٧ .

(٧) انظر : ترجمته فى ميزان الاعتدال : ٣ / ١٥٢ ، وتقريب التهذيب : ٢ / ٤٣ .

الحنفى وهو متروكٌ ، بل أطلقَ عليه ابن معين والفلاسُ وغيرهما « الكذبَ » (١) . وأخرج ابن ماجة فى سُننه لعلى بن حزور بن أبى فاطمة الكوفى ، وهو متروكٌ (٢) . وعشراتٌ غيرهم من الضعفاء والمتروكين والمجاهيل أخرج لهم أصحاب السُّنن الأربعة ، والبخارىُّ فى غير الصحيح . والأصلُ فى هذا أنَّ مَنْ أسند فقد أحالك . وأدى الأمانة كما تحملها .

ومن خلال استعراضى لكتابين مُهمين من كُتُب ابن أبى الدنيا وهما « كتابُ الصَّمْت » و« كتاب الشُّكر » لم أره يذكرُ فيهما روايـة واحدة عن هذين الشيخين البلْخى والضبى . و« كتاب الصَّمت » وحده اشتمل على (٧٥٩) رواية فيظهر أنه نقل عنهما .

٢ ــ ولكن الاعتراض الذى يردُ على ابن أبى الدنيا ــ وهو وجيه ــ ما ذكره الذهبى إذ قال ــ بعد أن ذكر جمهرة من شُيوخه ــ : « ويروى عن خلق لا يُعْرَفون ، وعن طائفة من المتأخرين كيحيى بن أبى طالب ، وأبى قلابة الرقاشى ، وابن أبى حاتم الرَّازى ، ومحمد بن إسماعيل الترمذى ، وعباس الدُّورى لأنه كان قليل الرِّحْلَة ، فيتعذرُ عليه روايةُ الشىء ، فيكتبه نازلاً ، وكيف اتفق » (٣) .

فأما رواية ابن أبى الدنيا عن خلق لا يُعرفون فهى حاصلة عنده ، وقد عانيتُ منها معاناة صعبةً ، وكُنت أمضى الساعات الطوال فى البحث عن سيخ من هؤلاء فلا أجدُ له ذكراً فى كُتب الرجال التى بين يدى ــ رغم كثرتها ــ . ونسبتهم قد تصل إلى ٥ ٪ فى عموم شيوخه فإن البقية غالبهم من رجال الكتب الستة . ولا يَتَوَهَّمَ الناظِرُ فى هذا أن ذلك يخدشُ منزلة ابن أبى الدنيا ، أو يطعن فيه . قال الحاكم : « وعيسى بن موسى التيمى البخارى الملقب بغنجار شيخ فى نفسه ، ثقة مقبول ، وقد احتج به محمد بن إسماعيل البخارى فى الجامع الصحيح ، غير أنه يحدث عن أكثر من مائة شيخ من المجهولين لا يعرفون بأحاديث مناكير ، وربما توهم طالب هذا العلم أنه يجرح فيه وليس كذلك » (٤) .

٣ــ فأما ما ذكره الذهبى من روايته عن طائفة من المتأخرين ، وذكر جُملة منهم ــ وهم من أفضل أهل العصر فى وقتهم ــ أبو قلابة الرقاشى (ت٢٧٦هـ) والترمذى

---

(١) انظر : ابن حجر ــ تقريب التهذيب : ٢ / ٣٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٢ / ٣٣ .
(٣) الذهبى ــ سير النبلاء : ١٣ / ٣٩٩ .
(٤) الحاكم ــ معرفة علوم الحديث : ص١٠٦ .

(ت٢٧٩هـ) وعباس الدورى (ت٢٧١هـ) من طبقة ابن أبى الدنيا ، ومن أقرانه ، وابن أبى حاتم الرازى (ت٣٢٧هـ) من تلاميذه ، ومن طبقة متأخرة عن طبقته . ولكن هذا الصنيع منقبةٌ جليلةٌ ، وليستْ محلَّ نقدٍ ومؤاخذة ، وقد صنعها قبله أميرُ المؤمنين فى الحديث أبو عبد الله البخارى ، وقد قسم ابنُ حجر شيوخه إلى خمس مراتب فقال فى الرابعة : « رفقاؤُه فى الطلب ، ومن سمع قبله قليلاً »[١] ، وقال فى الطبقة الخامسة : «قومٌ فى عداد طلبته فى السِّن والإسناد ، سمع منهم للفائدة . . وعمل فى الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبى شيبة عن وكيع قال : لا يكونُ الرجلُ عالماً حتى يُحدّثَ عمَّنْ هو فوقه، وعمَّن هو مثْلَه ، وعمَّن هو دُونَه . وقال البخارى : لا يكون المحدّث كاملا حتى يكتب عمَّن هو فوقه وعمن هو مثله ، وعمّن هو دونه »[٢] .

٤ ـ أما اعتذارُ الإمام الذهبى عن ابن أبى الدنيا فى روايته عن خلْقٍ لا يعرفُون وعن طائفة مِنَ المتأخرين بأنه كان قليلَ الرحلة ، فيتعذَّرُ عليه روايةُ الشىء ، فيكتبُهُ كيف اتفقَ ، فهو اعتذارٌ مقبولٌ ، ولكنه لا يخلُو من مبالغة . وذلك لأن ابن أبى الدنيا مشهورٌ بطلبه للْعلم ، واجتهاده فى جمْعه وتحصيلِه ، حتى مكنَه جِدُّه وحماسُه من أن يُصبح حافظاً كبيراً ، ومصنفاً مُكثراً .

ومن كانت هذه صفتُه فإنَّه لا يكْتفى بحديث المشهورين فحسبُ ، بل يتعدَّاهم إلى غيرهم لعله يجد عنْدهم زياداتٍ وغرائبَ . وكذلك كان ابنُ أبى الدنيا فإنه كان يَتَصَيَّدُ الوافدينَ على بغدادَ من أهلِ العلْمِ فيسمعُ منهم ، وفيهم المشهورُ والمغمورُ . وقد رأيتُ بعضَ مشايخه لم يتعرضْ لذكرهم أحدٌ من علماء الرجال سوى ابن أبى حاتم فى كتابه « الجرح والتعديل » وهم من أهل الصِّدْقِ والأمانة ، وفيهم الثِّقةُ ، ولولا ذكرهم فى هذا الكتاب لأدرجُوا فى عداد المجْهُولينَ .

ونزول الإسنادِ ليس بمعيبٍ عند المحدِّثينَ إذا كان لسببٍ مُعتبرٍ ، من زيادةٍ أو غرابة أو فائدة . قال الذهبىُ فى ترجمة إبراهيمَ بن إسحاقَ الحربى (ت٢٨٥هـ) ـ وهو الحافظُ الإمامُ العَلَمُ ـ : « يظهرُ فى تصانيف الحربى أنهُ ينزلُ فى أحاديثَ ، ويُكثر منْها ، وهذا يدلُّ على أنه لم يزلْ طَلَابةً للعلْمِ »[٣].

والإمامُ الذهبىُّ الذى يصفُ ابن أبى الدنيا بالوصفِ المتقدِّم ، ويعتُبُ عليه إكثارَه ،

---

(١) ابن حجر ـ مقدمة فتح البارى : ص٤٧٩ .
(٢) المصدر نفسه : ص٤٧٩ .
(٣) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣ / ٣٦٢ .

هو نفسُه صنعَ ما صنعه ابن أبى الدنيا ، وأُوتى من الإقبالَ على سماعِ الحديثَ والنهمةِ فى طَلَبِه ما جعله يقولُ عنْ نفسه فى ترجمة على بن مظفر الإسكندرانى (ت٧١٦هـ) . «ولم يكنْ عليه ضوءٌ فى دينه، حَمَلَنى الشرَهُ على السماعِ منْ مثْله، والله يسامحُه كان يُخِلُّ بالصلوات، ويُرمَى بعظائمِ الأمور»[١] وقال عن شيخٍ آخر من شيوخه: «إنَّه كان مِنَ عوامِ الطلبة»[٢] : بل دفَعهُ حبُّه للإكثارِ من الشيوخِ أنْ يسمع من الشيخِ محمود بن محمد الخراطى (ت٧١٦هـ) وكان به صممٌ فقال: «قرأتُ عليه بأعلَى صوتى فى أُذُنه»[٣].

٥ ـ أما اعتذارُ الإمام الذهبى عن ابن أبى الدنيا فيما نَقَدَهُ عليه بأنَّهُ كان قليلَ الرحلة، فإنَه غير مُسَلَّمٍ . فليس كل مَنْ قَلَّتْ رحلتُه نزل سَنَدُه ، واضطرَ إلى الرواية عمَّن دُونَه ، فهُناك عشراتٌ من الأئمة والحفاظ ممّن صَنَعَ صنيعَ ابن أبى الدنيا ، ولم يرحلْ ، واكتفى بجمع حديثِ بلَده ، ولاسيّما إذا كانَ بلدُه يموجُ بالعلْم والعلماء ، كما كان عليْه الحالُ ببغداد وقتَها. ومِمَّنْ صنع مثْلَ هذا مِنَ الأئمة: الإمامُ الأخرمِ أبو عبد الله محمد بن يعقوب النيسابورى (ت٣٤٤هـ) وهو حافظٌ متقنٌ قال الذهبى: «وجمع فأوْعى، ومع حِفْظِه وسَعةِ علْمه لم يرْحلْ فى طلبِ الحديثِ، بل قنع بحديثِ بلده »[٤].

وكذلك الحافظُ الكبيرُ أبو الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى (ت٥٩٧هـ) فإنَّه لم يرحلْ عن بغدادَ لطلبِ العلمِ، واكتفَى بجمعِ العلمِ من شيوخِها[٥] الوافرينَ كثرةً ، حتى أصبحَ إماماً كبيراً وحافظاً عظيماً . قال ناصحُ الدين ابن الحنبلى : « اجتمعَ فيه مِنَ العلومِ ما لم يجتمع فى غيره »[٦].

وابنُ أبى الدنيا وإن كان قليلَ الرحلة لظُروفٍ لم تُسعفْنا المصادر بمعرفتها فإنَّه استطاعَ بفضْل توجيهه المُبكِّر من قِبَلِ أسْرَتِه ، وهمّتِه العاليةِ أنْ يعوضَ ذلك ، فجمعَ أبرزَ ما فى الرحلةِ من فضلٍ ، وهو غزارةُ العلمِ وعلوُّ الإسنادِ » .

فأمَّا تحصيلُه العلميُّ وتكوينُه فيه ، فإنه كان من أوعيتِه ، ولَيْس أدلَّ عليه من هذه المصنفاتِ التى وضعَها فى كل فنٍّ من فنونِ العلمِ ، وهذه الكثرةُ الكاثرةُ من المشايخ الذين سمعَ منهم ، وقد بلغَ عددُهم فى « كتابِ الصمْت » وحدَهُ أكثرَ من مائتىْ شيخٍ. وكذا فى « كتاب العيال » ، وبهذا شهد له الأئمة .

قال القاضى إسماعيلُ بن إسحاقَ يومَ مات ابن أبى الدنيا : « رحِمَ الله ابنَ

---

(١) و (٢) و (٣) د . بشار عواد ـ مقدمة سير النبلاء : ١/ ٢٢ ، ٢٣

(٤) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٥/ ٤٦٧ ، تذكرة الحفاظ : ٣/ ٨٦٤ .

(٥) ناجية عبد الله ـ مقدمة المصباح المضىء فى خلافة المستضىء : ١/ ٢٣ .

(٦) ابن رجب ـ ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٤١١ .

أبى الدنيا ماتَ معه علمٌ كثيرٌ » [1]وشهد له الذهبىُّ بتَوسُّعِه فى العلمِ والأخْبارِ [2].

أما علوُّ الإسْنادِ فلَهُ فى « كتاب الصَّمْت » و«كتاب العيال» ـ فضلاً عنْ غيرهما ـ أسانيدُ عاليةٌ ، بينَه وبين النبى ﷺ أربعةُ أنفُسٍ، وقد وصف الذهبىُّ بعضَ حديثِه فقال: « حديثُه فى غايَةِ العُلُوِّ » [3].

٦ـ قال الإمامُ إبراهيم بن إسحاق الحربى : « رحِمَ الله أبا بكر ابـن أبى الدنيا ، كنَّا نمضى إلى عفانَ نسمعُ منه فنرَى ابن أبى الدنيا جالساً مع محمد بن الحسين البَرْجُلانى خلْف شريجَة ، يكتب عنْه ويدع عفَّانَ »[4] .

وعفانُ هذا هو ابن مسلم الصفار أبو عثمان البصرى الحافظُ الثَبتُ من كبار المُحدّثينَ ، اخْتلطَ سنة ٢١٩هـ فأنكره الأئمةُ ، قال أبو خيثمة ويحيى بن معين: «أنكرنا عفانَ فى صفَرٍ لأيامٍ خَلَوْنَ منه سنة تسع وعشرة ومائتين »[5]. توفى سنة (٢٢٠هـ) أو قبلها.

ومحمدُ بن الحسين البَرْجُلانى ، حافظٌ فاضلٌ صاحبُ زهدٍ ورقائقَ ، وقد تقدمْت ترجمتُه فى مشايخ ابن أبى الدنيا .

وعليه فيكونُ سنُّ ابن أبى الدنيا فى الفترة التى ذكَرها إبراهيمُ الحربى عشر سنوات أو أقل ، باعتبارِ أن ابن أبى الدنيا وُلد سنة (٢٠٨) ، وعفانُ اخْتَلَطَ أول سنة (٢١٩هـ) وترك الأئمةُ السماعَ منه عنْد اخْتلاطه .

وصبى فى العاشرة من عمره حقُّه أنْ لا يُشارَ إليه بالرواية عنْ شيخٍ ، وتركه آخرَ. إلا إذا كان نابغةً مُتفرداً معروفاً بتقدم السّماعِ . ولا أظنُّ أن ابن أبى الدنيا قد بلغ ذاك وهو فى هذه السن المبكرة .

وأرى أنَّ لتوْجيه أبيه أثراً كبيراً فى ميْله إلى البَرْجُلانى دُون عَفَّان لاهتمامِ أبيه بأحاديث الزُّهد والرقائقِ ، كمَا هو ظاهرٌ من الأحاديثَ والرواياتِ التى أوردها عنه فى «كتابِ الصمت » . إذ يُستبعد على ابن أبى الدنيا وهو فى مثل هذه السنِ المبكرةِ

---

(١) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٠/ ٩٠ ، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب : ٦/ ١٣ .

(٢) الذهبى ـ سير النبلاء : ١٣/ ٤٠٠ .

(٣) الذهبى ـ تذكرة الحفاظ : ٢/ ٦٧٩ ، وانظر فصل « أهمية كتاب الصمت » . من الباب الثانى ، والمبحث الثالث من القسم الدراسى من « كتاب العيال » .

(٤) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٠/ ٩٠ وفيه « تكتب عنه وتدع عفان » ، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب : ٦/ ١٣ والنص له .

(٥) الذهبى ـ سيرالنبلاء : ١٠/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، وانظر ترجمته هناك فإنها حافلة .

الاستقلالية فى التوجّه ، وإمكانية التمييز بين الشُّيوخ .

وعلى هذا فانتقادُ إبراهيم الحربى لابن أبى الدنيا ضربٌ من المُبالغة وتحميلِ الصبى فوْقَ طاقَته. بل إنَّ انتقادَه يحملُ فى ثناياه منقبةً لابن أبى الدنيا للدلالة على أمرين نافعَيْن .

أولهما : تبكيرُه فى طلب العلْم .

وثانيهما : أنه كان معتبراً وملحوظاً عند المُحدثين وعمره عشرُ سنينَ، أو دُونَ ذلك.

وهاتان فائدتان عزيزتان لم أجدْهُما عنْد أحدٍ ممَّن ترْجَمَهُ . ورُبَّ ضارةٍ نافعةٌ . رحم الله علماءَ الأُمة ، وأثابهم على حَزْمهم جزيلَ الثواب .

وفى الختامِ أعودُ إلى ماقلتُه فى بدايةِ هذا الموضوعِ : أنَّ بعض هذه المؤخذات وإنْ كانت مبالغاً فيها ، فإنها واردةٌ على ابن أبى الدنيا ، وإنَّما كان نقدُها محاولةً لوضْعها فى إطارِها الصَّحيحِ ، وإعطاءها حجْمَها من غيرِ تهويلٍ أو تساهلٍ .

وعلى هَذا فإنَّ بعْضَ ما قاله الذهبىُّ فى ابن أبى الدنيا صحيحٌ ، فقد رأيتُ له أصلاً من خلالِ دراستى لكتاب «الصَّمْت» و «الأشراف» و «العيال» ولكنَّها شواهدُ نادرةٌ جداً .

إذْ أننا رغم كُلِّ ما قَدَّمناهُ مِنَ الدِّفاعِ عنه فإنَّ قلَّة الرِّحلة عند ابن أبى الدنيا أضرَّت به كثيراً ، فاضطر إلى رواية بعض الأحاديث الصَّحيحة الثابتَة مَن طريق شيخ فيه كلامٌ ، لأنَّه فاتَهُ سماعُه من حافظ ثقَة، فلمَّا احْتاجَ إليه اضطرَّ إلى روايته كيْفَما اتَّفَقَ. وهذا قليلٌ جداً ـ كما ذكرت ـ ، ولَعَلَّه أرادَ أن يُخرِجَه من طريق آخرَ، فيه غرابةٌ أو نكتَةٌ زائدةٌ، فإنَّه حافظٌ كبيرٌ، ونصفُ شيوخه أو أكثرُهم من شيوخِ البُخارى ومسلمٍ والله أعلمُ.

والذى يشفع لابن أبى الدنيا أنه ضَمَّ إلى كونه مُحدِّثاً ، مُهِمَّةَ إصلاح المجتمع الإسلامى فكان حامل لواءِ الأخلاق والمُثُل، وكان مؤرخاً [1] يتتبع الأخبارَ والسِّيَر، وكان أديباً مُولعاً بالشعر والأدب، وزاهداً عابداً يتتبَع أخبارَ الزُّهد والرقائق. ومَنْ كثرتْ اختصاصاتُه خَفَّ تركيزُه. ورغْمَ هذا فابن أبى الدنيا إمامٌ عَلَمٌ فى هذه الفُنون جميعها. ويكْفيه ما خلَّفَ فيها من الآثار، والتى تُعَدُّ مفخرةً له، ومفخرةً لسَلَفنا وتُراثنا ودِينَنا. رحم الله عُلماءَ سلفِ الأُمةِ ، وبارك فى خَلَفِها وألْحقَنا بالصالحين منهم .

---

(١) السخاوى ـ الإعلان بالتوبيخ : ص٤٢٣ و ٤٢٦ ، روزنثال ـ علم التاريخ : ص٦٨٦ و ٦٩٠ .

المبحث الرابع
آثاره العلميّة

أولاً : تلاميذه :

لقد كان لتبكير ابن أبى الدنيا ، وهمته العالية فى تتبع العلماء والتحمل عنهم أثرٌ بالغٌ فى جعله من أوعية العلم ، ورائداً من رواده ، فأصبح الحافظ الكبير ، والمصنف المكثر الذى يؤُمُّه طلبةُ العلم من كل بلاد الإسلام ، يرحلون إليه ليسمعوا منه ، وينتفعوا من زهده وصلاحه وتأديبه وقد عُمِّرَ حتى سمع منه عددٌ هائل من أهل العلم وأبنائه ، فتخرج به فى الحديث جمٌّ غفير من الطلبة .

قال ابن تغرى بردى : « والناس بعده عيال عليه فى الفنون التى جمعها ، وروى عنه خلق كثير » (١).

وعدَّ له الحافظ المزى من أسماء تلاميذه مُرَتَّبِينَ على حروف المعجم ـ خمساً وخمسين تلميذاً (٢).

كما ذكر له الذهبى سبعة وعشرين تلميذاً على سبيل المثال لا الحصر (٣).

ومن مآثر هذا الإمام أنَّ الحارث بن أبى أسامة (ت٢٨٢هـ) أحد شيوخه ـ أخذ عنه وتتلمذ له(٤) .

كما سمع منه كبارُ المحدِّثين والفقهاء ومن أصبحوا أعلام العصر وحُفَّاظه كابن أبى حاتم (ت٣٢٧هـ) ، وابن خزيمة (ت٣١١هـ) ، والقاسم بن أصبغ (ت٣٤٠هـ) ، وإبراهيم بن الجنيد ـ ومات قبله ـ (ت٢٧٠هـ) ، وأبى بشر الدولابى (ت٣١٠هـ) ، وأبى العباس ابن عُقْدة (ت٣٢٢هـ) ، وخلق كثير .

١ ـ الصَفَّار : الشيخ الإمام المُحدث القدوة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن

---

(١) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة : ٣/ ٨٦ .

(٢) المزى ـ تهذيب الكمال : ٢/ ٧٣٦ نسخة دار الكتب المصورة .

(٣) الذهبى ـ سير أعلام النبلاء : ١٣/ ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣/ ٣٩٩ .

أحمد الأصبهانى الصفَّار الزاهد[1] .

سمع تصانيف ابن أبى الدنيا ببغداد ، واستفاد منه ، وتأثر بمسلكه ، فصحب بعد ذلك الأولياء والعُبَّاد ، وجمع وصنف .

قال الحاكم: هو محدث عصره، كان مجاب الدعوة ، لم يرفع رأسه إلى السماء ـ كما بلغنا ـ نيِّفاً وأربعين سنة .

حَدَّثَ عنه أبو عبد الله الحاكم ، الحافظ ابن مَنْدة وغيرهما . توفى سنة ٣٣٩هـ وله ٩٨ سنة .

٢ـ ابن صَفْوان [2]الشيخُ المُحدِّث الثقة ، أبو على الحسين بن صفوان بن إسحاق البَرْذَعِىُّ .

صاحبُ أبى بكر ابن أبى الدنيا وراوى كتبه[3] ، رافقه واستفاد منه . وهو الذى روى « كتاب الصَّمْت » عن المصنف ،وأذاعه ، والنسختان الموجودتان من الكتاب واللتان اعتمدناهما فى تحقيقنا من طريقه ـ رحمه الله ـ كما حَدَّثَ عنه بكتاب « مُجَابى الدعوة» و « الفرج بعد الشدة » و « ذم المسكر » و « ذم البغى » و « ذم الفحش » و« ذم الغضب » و « حسن الظن بالله » و « اليقين » و « الذكر » وغير ذلك كثير . قال الخطيب : كان صدوقاً .

سمع منه منصور بن عبد الله الخالدى ،وأبو الحسين بن بشران وغيرهما ، توفى سنة ٣٤٠هـ ببغداد ، والبَرْذَعِى : نسبة إلى عمل البَرْذَعة .

٣ــ قاسم بن أصبغ[4] بن محمد الإمام الحافظ العلامة محدث الأندلس ، أبو محمد القرطبى ، مولى بنى أمية .

سمع ابن أبى الدنيا ، وانتفع منه ، وانتهى إليه عُلُوّ الإسناد بالأندلس ، مع الحفظ

---

(١) أبو نعيم ـ ذكر أخبار أصبهان : ٢/ ٢٧١ ، ابن الجوزى ـ المنتظم : ٦/ ٣٦٨ ، الذهبى ـ سير أعلام النبلاء : ١٥/ ٤٣٧ ، والعبر : ٢/ ٢٥٠ ، السبكى ـ طبقات الشافعية : ٣/ ١٧٨، ١٧٩ .

(٢) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٨/ ٣٤ ، الذهبى ــ سير أعلام النبلاء : ١٥/ ٤٤٢ ، العبر : ٢/ ٢٥٣ ، ابن العماد ـ شذرات الذهب : ٢/ ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٣) ابن خير الأشبيلى ـ فهرسة ابن خير : ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٤) ابن الفرضى ـ تاريخ علماء الأندلس : ١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٧ ، الذهبى ـ سير أعلام النبلاء : ١٥/ ٤٧٢ ، وتذكره الحفاظ : ٣/ ٨٥٣ ـ ٨٥٥ ، والعبر : ٢/ ٢٥٤ ، ٢٥٥، ابن فرحون ـ الديباج المذهب : ٢٢٢ .

والإتقان ، وبراعة العربية ، والتقدم فى الفتوى والحرمة التامة والجلالة .

صنف سنناً على وضع سنن أبى داود ، وصحيحاً على هيئة صحيح مسلم ، وألَّفَ كتاب «بر الوالدين » و «مسند مالك» و « المنتقى فى الآثار » وكتاب « الأنساب» .

أثنى عليه غيرُ واحد ، وتآليف ابن حزم ، وابن عبد البر ، وأبى الوليد الباجى طافحةٌ بروايات قاسم بن أصبغ .

حدث عنه خلقٌ كثير منهم عبد الله بن محمد الباجى ، والقاضى محمد بن أحمد ابن مفرج وغيرهم .

مات بقرطبة سنة ٣٤٠هـ ، كان من أبناء التسعين .

٤ ـ الجَلاب[١] الإمام المحدث القدوة أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان بن المرزبان الهمذانى الجزار ، أحد أركان السنة بهمذان .

سمع أبا بكر بن أبى الدنيا وتخرج به . فأصبح قدوة كبير الشأن له أتباع .

حدث عنه أبو عبد الله بن مَنْدة ، وأبو عبد الله الحاكم ، وأبو الحسين ابن فارس. توفى سنة ٣٤٢هـ .

٥ ـ النَّجاد [٢]الإمامُ المحدث الحافظ الفقيه المفتى ، شيخ العراق ، أبوبكر أحمد بن سلمان بن الحسن البغدادى ـ الحنبلى النَّجاد .

سمع أبا بكر بن أبى الدنيا ،وأخذ عنه مُصنفاته وحدث بها ، وهو الذى روى كتاب « الشكر » عن أبى الدنيا[٣] . واستفاد منه الزهد والورع . فكان النجاد يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف فيترك منه لقمة ، فإذا كان ليلة الجمعة تصدق برغيفه، واكتفى بتلك اللقم . قال الخطيب البغدادى : « كان النجاد صدوقاً عارفا ، صنَّف السنن ، وكان له بجامع المنصور حلقة قبل الجمعة للفتوى ، وحلقة بعدُ للإملاء » .

صنَّف ديواناً كبيراً فى السنن ، وتوفى سنة ٣٤٨هـ .

---

(١) الذهبى ـ سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٧٧ ، والعبر : ٢/ ٢٦٠، ابن العماد ـ شذرات الذهب : ٢/ ٣٥٧ .

(٢) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ٤/ ١٨٩ ـ ١٩٢ ، ابن أبى يعلى ـ طبقات الحنابلة : ٢/ ٧ ـ ١٢ ، الصفدى ـ الوافى بالوفيات : ٦/ ٤٠٠ .

(٣) ابن خير الأشبيلى ـ فهرسة ابن خير : ٢٨٣ .

ثانياً : مؤلفاته :

كان من ثمار جهاد ابن أبى الدنيا الطويل فى طلب العلم،منذ صغره ، وسعيه الحثيث وراء الأئمة ليتحمَّل عنهم،ويسمع منهم ؛ أنْ جمع هذا العلمَ الوافرَ الغزير، وصبَّهُ فى تآليفه الكثيرة . فأبانت كثرةُ مصنفاته عن عظيم العلم الذى تَمكَّن من تحصيله وجمعه .

قال ابنُ كثير : « الحافظ المصنف فى كلِّ فن ، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة فى الرقاق وغيرها » (١).

وقال : الخطيب : « صاحب الكتب المصنفة فى الزهد والرقائق »(٢) .

وقال الكتبى : « أحد الثقات المصنفين للأخبار والسِّير » (٣).

وقال المسعودى:«وقد أَلَّفَ الناسُ كتباً فى التاريخ والأخبار ممن سلف وخلف» (٤). ثم عدَّه منهم .

وقد تبين لى من خلال دراستى لمصنفاته وآثاره أنه مشارك فى أنواع العلوم،بارع فيها،إلا أنه طغى على مصنفاته صنفان من العلوم صَنَّفَ فيهما غالب مؤلفاته.وهما:

١ ـ الزهد والرقائق .

٢ ـ التاريخ والأخبار والسِّير .

وهما مجال تخصصه ومحطُّ عنايته ، لذا أبدع فيهما غاية الإبداع ، وجمع فيهما علماً عزيزاً غزيراً،أصبح مصدراً مهماً لكلِّ مَنْ كتب وصنف فى هذين الفَنَّين .قال ابنُ تغرى بردى : « وله التصانيف الحسان ، والناس بعده عيال عليه فى الفنون التى جمعها» (٥).

وقد اطَّلع على تصانيف ابن أبى الدنيا جمهورٌ كبيرٌ من المؤرخين والعلماء والأئمة المشهورين ممن جاؤوا بعده(٦) . حتى إن الناظر فى قائمة الكتب التى أقبل عليها الخطيب

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية : ١١/ ٧١ .

(٢) الخطيب ـ تاريخ بغداد : ١٠/ ٨٩ .

(٣) الكتبى ـ فوات الوفيات : ١/ ٤٩٤ .

(٤) المسعودى ـ مروج الذهب : ١/ ٢٠ ، ٢١ .

(٥) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة : ٣/ ٨٦ .

(٦) منهم الإمام المعافى بن زكريا الجريرى القاضى (ت ٣٩٠ هـ) فى كتابه « الجليس الصالح الكافى » ق٢٩ب، ٤٤ب ، ٤٧ب ومواضع أخرى (ذكره الدكتور أكرم العمرى فى « موارد الخطيب »ص١٦١) .

والحاكم فى « المستدرك على الصحيحين » ٣٧٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ـ روايتان، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، =

البغدادى ، واعتنى بها ، يجد الحظ الأوفر فيها لكتب ابن أبى الدنيا ، فلم يقرأ لعالم من المصنفات مقدار ما قرأ لابن أبى الدنيا ، فقد تمكن من سماع (٣٩) مصنفاً من مصنفاته ، مما حدا بالدكتور يوسف العش أن يقول : « ولعل القارئ انتبه إلى مكانة ابن أبى الدنيا عند الخطيب ، وحرصه على جمع رواية كل آثاره ، حتى كاد يستوفيها جميعاً [١] . ولعل أبا بكر الخطيب أقبل عليه لسعة اطلاع وجده عنده ، وحسن معرفة لمسها فى مؤلفاته ، وتعرض لموضوعات انفرد بها عن غيره » [٢] .

ومن خلال نظرة سريعة فى فهارس المخطوطات المبثوثة فى شرق العالم وغربه ، وفى إثبات العلماء ومعاجمهم ، وكتب التخريج والتوثيق ، وغير ذلك من الدواوين والمعاجم نجدها طافحة بذكر مصنفات هذا الإمام المُكْثِر .

ولهذه المكانة الطيبة التى احتلتها مصنفاتُ ابن أبى الدنيا فى التراث الإسلامى ، دفعت بعض الأئمة إلى جمع مصنفاته . مثل ابن النديم فى « الفهرست » ١/ ١٨٥ ، والذهبى فى « سير النبلاء » ١٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٤ ، وابن خير فى « فهرسته »ص٢٨٢ ـ ٢٨٤ ، وحاجى خليفة فى «كشف الظنون» والبغدادى فى « هدية العارفين » ٥/ ٤٤١، ٤٤٢ ، والكتانى فى « الرسالة المستطرفة »ص٥٠ ، وغيرها ، كما صنع له أحد

= ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ والبيهقى فى « السنن الكبرى » ٥/ ٦٨ ، ٦/ ١٠١، ٨/ ٢٣٢، ٣٠٢، ٣٠٦ روايتان ، ١٠/ ٢١٢ .روايتان ، ٢١٥ . روايتان ، ٢١٦ . روايتان ، ٢١٧ ، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣ ست روايات .

والخطيب فى « تاريخه » وقد اقتبس من ابن أبى الدنيا (٧٧) نصاً ، وكان مهتماً بمصنفات ابن أبى الدنيا حتى حاز منها على مجموعة كبيرة بلغ عددها (٣٩) مصنفاً .

كما اقتبس منه الخطيب البغدادى فى كتبه الأخرى « كشرف أصحاب الحديث » و « اقتضاء العلم للعمل » و « موضح أوهام الجمع والتفريق » و « الفقيه والمتفقه » و « الكفاية » وغيرها (انظر :موارد الخطيب للدكتور أكرم العمرى : ص١٥٩ ، ١٦١) .

والمتصفح لكتاب « الحلية » يجد مئات النصوص المروية من طريق الحافظ ابن أبى الدنيا . فإنَّ أبا نعيم الأصبهانى الحافظ كاد أن يجعل ترجمة « سفيان الثورى » كلها من طريق ابن أبى الدنيا .

والإمام ابن الجوزى فى « المصباح المضىء فى أخبار المستضىء » ، حتى بلغت اقتباساته خمسون موضعاً .(انظر : مكانته العلمية ـ المبحث الرابع من هذه الرسالة) .

والإمام ابن عساكر فى« تاريخ دمشق » وابن كثير فى « البداية والنهاية » والذهبى فى « تاريخ الإسلام» وابن حجر فى « تهذيب التهذيب » و « الإصابة فى تمييز الصحابة » وغير ذلك . (انظر : موارد الخطيب ـ للعمرى : ص١٦١) .

(١) وهو بعيد ؛ لأن مصنفات ابن أبى الدنيا تربو على المائتين .

(٢) د . يوسف العش ـ الخطيب البغدادى مؤرخ بغداد ومحدثها : ص١٤٧ .

المحدثين معجماً لمصنفاته رتبها على حروف المعجم وضمنه مائة وأربعة وستين كتاباً [1].
ودائرة المعارف الإسلامية ١/١٩٨ ــ ٢٠٠ ، وبروكلمان فى « تاريخ الأدب العربى » ذيل ١/٢٤٧ ، ٢٤٨ .

وبعد اطلاعنا على هذه المصنفات كلِّها وغيرها من كتب المعاجم والتراجم رأينا أوعبها وأجودها ما فى « سير النبلاء » للحافظ الذهبى وقد عَدَّ له (١٦٢) كتاباً ، و «معجم مصنفات ابن أبى الدنيا » الموجود بالمكتبة الظاهرية ،وقد عدَّ له (١٦٤) كتاباً.

وقد تَحَصَّلَ لَدَىَّ من أسماء مصنفاته ـ وذلك بعد التتبع فى فهارس المخطوطات وكتب المعاجم والتراجم ، بالإضافة إلى ماذكرناه ـ (٢١٧) مؤلفاً .

وقد صنعت كشافاً مفصلاً لهذه المصنفات رتبته حسب موضوعاته ، انظره بتمامه فى القسم الدراسى لكتاب « الصمت وآداب اللسان » بتحقيقنا ، ص ٨٧ ـ ١١٠ طبعة دار الغرب الإسلامى بيروت . فإنه يغنى عن تكراره هنا .

وقد تَجَمَّعَت لدى ـ فوق ما ذكرت هناك ـ زيادات وفوائد لعلى أنشط لنشرها قريباً إن شاء الله تعالى .

---

(١) معجم مصنفات ابن أبى الدنيا « مجهول المؤلف » ، منه نسخة فى الظاهرية بدمشق رقم ٤٢ مجاميع . وقد أخرجه الدكتور صلاح الدين المنجد فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٤٩ سنة ١٩٧٤ ص٥٧٩ ـ ٥٩٤ . وضمَّ له زيادات من سير النبلاء ، والفهرست ،وابن خير ، والكشف ، وهدية العارفين ، فبلغ مجموعها (١٩٨) كتاباً ، وهو جهد مشكور أفَدْنا منه ، وقد فاته اشياء فيه ، ولكن يبقى له فضل السبق .